القراءة المؤدلجة:

صورة النبي محمد -(ﷺ)-
في عيون الغربيين

الدكتور/ إبراهيم عبد الفتاح

الأستاذ المشارك بجامعتي المنوفية بمصر والقصيم بالسعودية

الدكتور/ أسامة عرفان

الأستاذ المشارك بجامعتي بني سويف بمصر والقصيم بالسعودية

الإهداء

إليك يا رسول الله حبًّا ...

إليك يا رسول الله شوقًا ...

عِرضنا دون عرضك ...

فداك أرواحنا ودماؤنا ...

... ...

اللهم ارزقنا شفاعته، وأوردنا حوضه.

القراءة المؤدلجة:
صورة النبي محمد -(ﷺ)-
في عيون الغربيين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

وبعد ...

فإنه لا يخفى على أحد ما يُكِنُّه الغرب من حقد قديم على الإسلام ونبيه، وأن هذه الأحقاد ما ظهرت إلا حين ضعف المسلمون، وانفرط عقد وحدتهم، ووضعت الحدود المصطنعة بين دولهم، واتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فصار بأسهم بينهم شديدا، أشداء على المؤمنين، رحماء مع الكافرين، فطمعت فيهم الأمم، واستباح العدو أرضهم، وكسر بيضتهم. وتلك سنة الله التي لا تتخلف، ولن يعود للمسلمين مجدهم وعزهم حتى يعودوا لربهم، ويغيروا ما بأنفسهم، ويتحد صفهم، ويلتفوا حول دينهم، عندئذ ستعود لهم هيبتهم، وسيحترم دينهم، وتنتشر لغتهم، فيرتفع ما بهم من هوان، ويتوقف سيل الاستهانة بهم وبدينهم ونبيهم. أما والحال على ما نرى ونسمع، فلا جرم أن يتطاول الأقزام على مقام رسول الله، ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾، ويظل الأوروبيون –مستشعرين عقدة النقص لديهم– يشتمون ديننا، ويسبون نبينا بدعوى الحرية التي لا يرتفع شعارها إلا فيما يخص عقيدتنا، فإذا عبر أحد عن رأيه –كما يزعمون– في أشخاصهم أو ذويهم أدين وعوقب. وما أهون شأننا عند العالمين!! وقد كنا في العالم الأول فصرنا العالم الثالث.

وإذا كان رسولنا أحب إلينا من أنفسنا، فمن الواجب أن يهب كل واحد منا بالدفاع عن رسوله بما يملك، في حدود ما يقدر عليه، ونحن –الباحثين– لا نملك سوى أقلامنا لندافع بها عن حبيبنا، ولو كان مدادها دماءنا ما بخلنا بها. وعلى الرغم من هذه المقدمة التي لم نملك أنفسنا عند تسطيرها من إظهار حبنا لمن أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور إلا أننا حرصنا على الحيادية، وليس هناك كاتب ولا باحث متجرد من ذاتيته، وقد حاولنا أن نناقش الشبهات بحيادية متبعين الحجة والدليل، متخففين من روح العاطفة والميل –قدر الاستطاعة– ولم ننجرف إلى الروح الخطابية، ولم تكن المناقشة عقلية بحتة فقد مزجتْ بين النقاش الجاد مع إشرابه شيئا من روح التعاطف والحب.

وهذا البحث يتكون من تمهيد وثلاثة مباحث: ذكرنا في التمهيد مقدمات تأسيسية لابد منها. وكان المبحث الأول بعنوان: شبهات المستشرقين في شخص رسول الله –(ﷺ)–. والمبحث الثاني عن شبهات المستشرقين في رسالة الرسول (ﷺ). والمبحث الثالث يحمل عنوان: وسائل مقترحة لنصرة الرسول –(ﷺ)–. ثم كانت الخاتمة. ثم المصادر والمراجع وجدير بالذكر أن الباحثين قد اطلعا على كافة المصادر والمراجع اطلاعا كاملا قراءة وفهما، ولكن لم نثبت كل هذه المصادر والمراجع بالهوامش خشية تضخم البحث، لكننا نجزم بأنها قد استوعبت استيعابا كاملا ولله الحمد والمنة، وقد حدانا إلى هذا الجهد حق رسول الله علينا، ولعل هذه الكلمات التي كتبناها تكون خالصة لوجه الله الكريم، ويشفع لنا بها الحبيب المصطفى يوم القيامة فاللهم صل وسلم وبارك وزد وأنعم على حبيبك محمد وآله وأصحابه أجمعين، واحشرنا معهم يا رب العالمين.

التمهيد

الأيديولوجيا: هي مصطلح فلسفي قد انحدر إلينا من الفلسفة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر. ويعني به الفلاسفة الفرنسيون: "علم الأفكار" وهي –في وجهة نظر باريون[١]– أنظمة مغلقة تقوم على أحكام مبتسرة ومسبقة وإيمان نهائي، لا تطيق النقد العقلاني ولا تتحمله. وبينها وبين العلم خصام، وإن حاولت أن تتستر بلباس العلم وتسخره لخدمتها؛ فتأخذ منه الحجج الصالحة للاستعمال، إلا أنها تحاول فرض سيطرتها على العلم، فتطرح أسئلة علمية لكنها تبحث هذه الأسئلة من زاوية افتراضاتها الجامدة أو ما يسمى في الفلسفة الغربية (الدوغمائية)، فهي تخلط مسائل العلم بتصوراتها الفكرية، ولذا هي خطر على السلوك.

يختلف العلم عن الأيديولوجيا في أن العلم يسعى إلى المعرفة الحرة البعيدة عن النتائج المسبقة، في الوقت الذي تتخذ فيه الأيديولوجيا اعترافا عَقَدِيا مسبقا، أو رأيًا قيميًّا قبل بدء البحث العلمي، وقبل الخوض في المسائل التي تبحثها.

حدد الفلاسفة الفرنسيون وظيفة الأيديولوجيا في أنها تقوم على إرجاع الأفكار المركبة إلى أفكار بسيطة، ثم إرجاع الأفكار البسيطة إلى المدركات الحسية المباشرة، إذ إن هذا العلم يسعى إلى تبيان جذور المعرفة، ومنشأ هذه المعرفة، وحدودها وحظها من اليقين. تلك كانت وظيفة الأيديولوجيا حين طرح الفلاسفة الفرنسيون مفهومها. وقد تطور المفهوم كثيرا بناء على الممارسة، واستكشاف العديد من المفاهيم المتعلقة بها من السلوك العام الذي يمارسه الأيديولوجيون في حياتهم.

---

(١) ياكوب باريون، ما الأيديولوجيا؟، ترجمة: أسعد رزوق، عرض ومناقشة: سعيد المصري، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الثالث، ص ١٦٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

وعلى الرغم من أن الأيديولوجيا عبارة عن تصورات وقناعات وهمية غير مطابقة للواقع إلا أنها قد يكون لها تأثير كبير على الواقع من حيث التلبيس على الأشخاص محدودي الثقافة؛ ودائرة الفعل الإنساني لدى الأيديولوجي هي التي تقرر عددا كبيرا من المشكلات التي تخلط بين الوهم والحقيقة أو بين التصورات الذهنية المغلوطة والواقع الذي يحيا فيه ذلك الشخص المنحاز. فالأيديولوجي قد يقع ضحية لما في رأسه من أوهام حين يخلط بين ما هو من قبيل الوهم منها وما هو كائن في واقع الحياة. وقد يكون خبيثا فيوهم غيره بهذا الخلط فيجعل الآخرين يتصورون وجودا ظاهريا للوهم في حياته وواقعه. وقد يلجأ ذلك المنحاز إلى أن يزيِّف الحقائق لأغراض يؤمن بها، ويريد حمل الآخرين على الإيمان بها، أو يكون مدركا –في قرارة نفسه– عدم قدرته على زحزحة رأي الآخرين فيلجأ إلى الأيديولوجيا لكي يشكك المحيطين به في هذه الآراء أو التصورات والمعتقدات. قد يكون ذلك لمصالح شخصية مادية أو دينية أو سياسية.

إن الشخص الأيديولوجي لا يعاني من نقص في المعرفة، ولكن ينقصه الصدق؛ فهو يضل الآخرين، وهو يعلم أنه يضلهم، ويلبس الحقائق وهو يعلم حقيقتها، وينكر ضوء الشمس ويراه في عين نفسه، وصدق الله حين قال: ﴿**وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ**﴾.

وأكثر ما تعمل فيه الأيديولوجيا السياسة؛ فقد يكون السياسي مؤمنا بما يخالف قوله، ويريد تطبيق قناعات شخصية لا يستطيع إعلانها على الناس، فإذا تمكن ظهر تزييفه، ورأى الناس منه عكس ما كان يظهر. إن هذا النفاق السياسي الذي كتمه وأظهر عكسه ما كان إلا أيديولوجية لجأ إليها ليحقق أهدافه. وكذلك تجد لدى المحتال الذي يقنعك أنه معدم وهو في حقيقته ميسور الحال، وأشد أنواع الأيديولوجية ما يكون في خداع الناس باسم الدين فيكون متكلما بغير ما يعمل، أو عالما بالحقيقة ويلبسها على الناس لا لشيء إلا لإيمانه بأنه يخدم فكرة لا يمكنه البوح بها. وقد سلك المستشرقون هذه الحيل ليلبسوا على الناس دينهم، فادعوا العلم، ولبسوا رداءه، وتسمى بعضهم بأسماء عربية ليكمل له هيئة الموثوق به ثم هو يمج سمومه لكي يضل البسطاء، وأنصاف المتعلمين وبعض المثقفين، أما أنه يعرف الحق فهو يعرفه جيدا وما كان هذا الكذب والتدليس إلا انتقاما من دين المسلمين وشريعتهم. حين قارنوا بين دينهم ودين المسلمون، وما يؤمنون به من خرافات، وما يتمتع به دين المسلمين من عقلانية جعلت أولى الكلمات في كتابهم المقدس هي اقرأ.

إن هذا النوع من الأيديولوجية لا يمكن فضحه إلا بكشف الأقنعة عمن يتقنعون بلباس العلم ويريدون من ورائه نشر الأيديولوجيا، فإذا أردنا إزالة هذا التزييف لابد من كشف أقنعتهم التي يستترون خلفها. وتسهم نظرية الأيديولوجيا في التصدي لتزييف الوعي، وتغيير الحقائق، وهي تثبت نجاعتها حين يتقن الباحث النظرية ويعرف حيل المستغلين ضعف ثقافة المجتمعات ليزيفوا وعي الجمهور على العموم، وأنصاف المتعلمين على وجه الخصوص.

بقيت نقطة أخيرة هي أشبه بالحيلة حين يستعمل الأيديولوجي شيئا من الحقيقة ويضيف إليه شيئا من الوهم أو الأيديولوجية، نتساءل عن سبب هذا التناقض، كما أن هذه هي أخطر الصور التي بها يزيف الوعي، ويدس سمًّا في عسل؛ فالحقائق المذكورة تضفي على الكلام مصداقية في بعض الأحيان، ولا يتنبه إلى التزييف إلا العلماء الأثبات الذين يميزون الغث من السمين كما كان القدماء يميزون بين الدينار المغشوش والدينار الصحيح.

<u>الاستشراق والمستشرقون:</u>

كلمة الاستشراق مولدة، دخلت العربية أخيرا، وقد أُخذت من الفعل السداسي (استشرق)، وهي تعريب للمصطلح الغربي (Orientalism)، وهناك خلاف بين العلماء العرب في ترجمة المصطلح هل هي: المستشرقون أو علماء المشرقيات. لكن شاع المصطلح الأول وفشا، وصار هو الغالب في الإطلاق على هؤلاء العلماء الذين تخصصوا في دراسة علوم اللغة العربية والإسلام، ثم اتسعت دراساتهم بعد ذلك حتى شملت المشرق كله من حيث لغاته المختلفة، وأديانه، وتقاليده وعاداته، وتاريخه وجغرافيته، وبالجملة كل علوم الشرق.

وفي اصطلاح العلماء أن الاستشراق عبارة عن اتجاه فكري يعنى بدراسة الأمم الشرقية بصفة عامة، وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة[٢].

ولا يكاد يتفق العلماء على زمن محدد لنشأة الاستشراق بل هم مذاهب شتى بين من يربط ذلك بمجيء الحملة الفرنسية، ومن يعود به إلى القرن السابع عشر حين قام بعض الأوربيين بترجمة بعض الكتب وطباعتها، ورأي ثالث يوغل في تاريخ الاستشراق فيعود إلى القرن الثالث عشر. لكن المستشرقين نشطوا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين نشاطا هائلا، فكتبوا الكتب، وحققوا المخطوطات، ونقلوا أكثرها إلى أوروبا، وطبعوا كتبا كثيرة تعد من أعمدة الحضارة العربية والإسلامية.

---

(٢) عدنان محمد وزان، الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، ص ١٥.

وكان المستشرقون يعتمدون مناهج حديثة تختلف من مدرسة إلى أخرى؛ فالمدرسة الإيطالية تختلف عن المدرسة الفرنسية وتختلف عنها المدرسة البريطانية وهكذا بل إن الدارسين في المدرسة الواحدة تختلف مناهج بعضهم عن بعض. لكن هناك سمات عامة تجمع بينهم في دراسة الإسلام عقيدة وتاريخا وحضارة وفكرا، ومن هذه السمات:

١- دراسة الإسلام بعقلية أوروبية مادية بحتة، وفكر مغلوط لا يقدر الحقائق الروحية في ديننا وشريعتنا.

٢- تبني أيديولوجية منحازة ضد الإسلام يتم اصطياد النصوص للتدليل عليها.

٣- الاعتماد على الآراء الضعيفة والشاذة في التراث الإسلامي وبناء أحكام عليها بعد استبعاد الصحيح الثابت الموثوق فيه.

٤- بتر النصوص وتشويه عرضها لتحقيق أغراضهم التي تهدف إلى الطعن في الإسلام ورموزه واستخراج نتائج لا تدل عليها المقدمات.

٥- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فينقلون –مثلا– من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه. وكما ذكر الدكتور مصطفى السباعي: (يصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ كل ذلك انسياقا مع الهوى، وانحرافا عن الحق)[٣].

٦- إبراز الجوانب الضعيفة وإخفاء القيم السامية التي امتازت بها شريعتنا، وهم يقصدون من وراء ذلك إلى تهوين شأن ديننا.

٧- الجرأة بالقطع في أحكام خاطئة متوهمة، ويكثرون من ترديدها حتى تكون –لكثرة ترددها– أحكاما ثابتة يصدقها القارئ لكثرة تركيزهم عليها وتكرارها في كلامهم.

٨- بضاعتهم في اللغة العربية ضعيفة وتصدوا لقضايا لا يفهمونها، وناقشوا فنونا لا يتقنونها، فجاءت أحكامهم خاطئة، وارتكبوا حماقات كثيرة في حق التراث بقصد وبغير قصد[٤].

وقد أشاع المستشرقون حول رسول الإسلام شبهات للطعن في مصدر الرسالة، كما أشاعوا حول القرآن، وحول السنة وحياة الرسول، وأطنبوا في انتقاد المجتمع الإسلامي. ولم يكن

---

(٣) د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص ٢١٣، دار الوراق للنشر والتوزيع، د.ت.

(٤) أشار إلى بعض هذه السمات كثير ممن كتبوا عن الاستشراق من أمثال: د. عبد الجليل شلبي في الإسلام والمستشرقون، ٢٤٨. ود. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ٢١٢. ونذير حمدان، الرسول -(ﷺ)- في كتابات المستشرقين، ١٦. وغيرها من الكتب.

همهم من قراءة السيرة والاطلاع على السنة سوى إثارة الشبهات، وقد رد عليهم كثيرون من علماء الدعوة وفقهاء الدين. وقد تجدد الهجوم على رسولنا الكريم بما يسيء إلى جميع الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، من رسوم مسيئة لنبينا، في مشهد أشبه ما يكون بمسرحية هزلية ما كان لها أن تخرج هذا الإخراج لولا ضعف الأمة وتفريطها في ثوابتها وعمالة الكثيرين من أبنائها على تقويض أسسها. وها نحن نشهد انتفاضة عارمة للأمة المسلمة التي غضبت لإهانة نبيها، وصممت أن تعلِّم المتعصبين مكانة الرسول فيها، وما كان مؤتمرنا هذا إلا إسهاما من علماء الأمة في الدفاع عن مكانة نبيها الذي هو أغلى عند كل مسلم من والده وولده والناس أجمعين.

أسباب عداوة الغرب للإسلام:

عدد الدكتور عبد الوهاب محمود المصري أسباب عداوة الغرب للإسلام فذكر منها(٥):

١- تناقض القيم السائدة بين المسلمين والغرب:

فالقيم التي تشكل الثقافة في الغرب تناقض مثيلتها عند المسلمين؛ ففي الوقت الذي ينادي فيه الإسلام بقيم الإنسانية التي من ثمارها الإخاء والمساواة بين الناس لا فضل لمسلم على مسلم إلا بالتقوى والقرب من الله تسود في الغرب العنصرية التي تجعل الأوروبيين جنسا ساميا ومن عداهم عبيدا لهم. وفي الوقت الذي تسود فيه جماعية الإسلام تنتشر فيه الأنانية والفردية في الغرب. وفي الوقت الذي يحث الإسلام أتباعه على التعاون على البر والتقوى تسود في الغرب روح العداء والمؤامرة. وهذه أمثلة فحسب. ويمكن أن يقاس عليها الكثير من قيم الإسلام مقارنة بقيم الغرب التي تتناقض مع هذه القيم السامية.

٢- الإسلام عامل توحيد للأمة:

يدرك الغرب أن الإسلام عامل توحيد للمسلمين، وأن وقوفهم في الصلاة صفوفا، وصلاة الجمعة، والوقوف بعرفة وغير ذلك من الشعائر إنما هو دعوة لتوحد الأمة، وأن محاولات تفتيت الأمة إلى كيانات جزئية من خلال دعوات قومية أو عربية أو حزبية لا تستطيع تأليف القلوب كما تتألف القلوب حول الدين، ولذلك سعى الغربيون إلى الحرص على أن يظل المسلمون متفرقين. وأن توضع العراقيل دون توحد شعوبها ودولها. وفي الوقت نفسه يحاول الغرب التوحد من خلال كيانات كالاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، وغير ذلك، لكنها في الحقيقة لا تستطيع جمع

(٥) عبد الوهاب محمود المصري، مؤامرة الغرب على الإسلام . الفكر السياسي، مج ٦، ع. ٢١، ص ص. ٦٩-١٠٣ . ٢٠٠٥م. وهي في الأصل محاضرة ألقيت في: مركز الدراسات الإسلامية في دمشق، بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠٠٤م.

الشمل بالقوة التي يكون بها المسلمون لو تمسكوا بدينهم واتحدوا وصاروا يدا واحدة حيث إن ثقافة الغرب تصب في ناحية الفردية أكثر من الجماعية ولا يمكن أن يتحدوا إلا في وجود تهديد أو تحقيق مصلحة مؤقتة، وذريعة سياسية كاتحاد الصرب وهم أرثوذكس مع الكروات وهم كاثوليك في حرب البلقان، وكان سبب التوحد تحقيق غرض إبادة المسلمين في البلقان.

٣- الإسلام عامل مقاومة:

جعل الإسلام الدفاع عن الوطن والمال والعرض فريضة شرعية واجبة على كل من يقدر على الدفاع عن الأمة، ولذلك أدرك الغرب قوة الإسلام في كونه عامل مقاومة، ومن خلال دراساتهم تبينوا أن حركات المقاومة في البلاد التي احتلوها كان وراءها دافع ديني إسلامي يقول مارسيل بوزار -وهو متخصص في القانون الدولي والعلاقات بين الدول-: "لقد تأكد أن جميع الانتفاضات التي سادت البلدان الإسلامية في عشرات السنين الأخيرة كانت إسلامية بصورة حقيقية مهما كانت صبغة الأزياء التي ألبستها"[(٦)]. ويقول المستشار طارق البشري: "المقصود من الهجوم على الإسلام والشريعة الإسلامية هو تفكيك قوى التماسك في هذه الأمة؛ فالقوى المعادية للإسلام في الخارج تعلم أن الإسلام من أفضل العناصر التي تستحث المقاومة ضد الغزو الأجنبي والسيطرة الأجنبية، وأنه أفضل العناصر التي تمكن من الاستقلال، لذلك فهم يهاجمون الإسلام والمسلمين"[(٧)].

٤- الإسلام ضد العولمة:

إن الغرب يريد فرض العولمة على الدول التي تحت وصايته بما فيها من قيم ثقافية وقيمية وحضارية وعادات وتقاليد، ويرون أن العائق الوحيد لفرض هذه العولمة هو الإسلام؛ فهو يفسد عليهم هذه الوصاية، ولا يجعل المسلمين يستجيبون لها، يقول السفير حسين أحمد أمين عن الغربيين إنهم "يرون باختصار أن الإسلام يمثل عقبة كأداء في سبيل العولمة وقواعد النظام الدولي الجديد، وأنه من الأفضل إما استئصاله -إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا-، أو إغفال المسلمين من حساباتهم إغفالا تاما"[(٨)].

وليست هذه هي الأسباب كلها فهناك أسباب أخرى كثيرة، وسيظل الغرب معاديا للإسلام ما دامت السماوات والأرض، ذلك أن من سنن الله الكونية الصراع بين الحق والباطل، وأن تبقى المعركة بين جند الله وجند الشيطان، فلله جند وحزب وعباد، وللشيطان جند وحزب وعبيد. وستظل الحرب قائمة إلى يوم القيامة. (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ

---

(٦) د. عماد الدين خليل، نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، ص ٢١، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م.
(٧) المستشار طارق البشري، حوار أجراه معه محمود عشب في: جريدة الأهرام، القاهرة، ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣م.
(٨) المفكر والسفير حسين أحمد أمين، مجلة المجلة، ص ٥٢، العدد ١١٤١، ٢٣، بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠١م.

تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس ٩٩]. (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [السجدة ١٣].

العنصرية الغربية ضد المسلمين:

هناك نظريات يؤمن بها المثقفون الغربيون تجذِّر العنصرية، وتبث روح التطرف في الشعوب، ومن هذه النظريات نظرية الطبائع؛ وهي نظرية لها أصول تاريخية عند أرسطو الذي وضع للبشر تقسيما تراتبيا جعل من خلاله البشر قسمين: حرًّا بالطبيعة، وعبدًا بالطبيعة. ويؤمن الغربيون بأنهم وارثو الإغريق، وتقول النظرية: إن للشعوب طبائع يتوارثونها، وأن السلالات البشرية تتوارث سمات تتجاوز مراحل التطور التاريخي للمجتمعات، وأن هذه السمات الوراثية هي التي تحدد اختلاف التطورات الاجتماعية لدى الشعوب، وقد دعمت هذه النظرية مقولاتها بما توصل إليه دارون عن علم الأجناس الحيوانية. وانبنى على هذه النظرية تقسيم البشر إلى طبقات فجعلت الشعوب الأوروبية في أعلى درجات السلم التراتبي، حتى أن جوستاف لوبون جعل الأمم الراقية هي أعلى الطبقات وبأسلوب الحصر قال: "لا يندرج فيها إلا الأمم الهندوسية الأوروبية؛ فهي وحدها التي أظهرت مقدرة على الاختراعات في الفنون والعلوم والصناعة، سواء كان ذلك في الزمن القديم زمن اليونان والرومان أو في عصرنا هذا وهي التي أوصلت الحضارة إلى درجة ارتقائها الحالي"[٩].

ومن النظريات التي يقيم الغرب حضارته عليها اعتماد الفقه الروماني في الحقوق والسياسة، وقد أدى ذلك إلى الاعتراف بما كان سائدا لدى الرومان من نظام عبودية الآخرين واستغلالهم، وصار المثقفون المعاصرون يقوون هذه العنصرية التي تؤمن بأن المواطنين الذين ينحدرون من الجنس الروماني هم السادة وغيرهم عبيد على الرغم من أن هؤلاء السادة لا يمثلون سوى عدد قليل لا يكاد يصل إلى ١٪، وبقية العامة أو ما يطلق عليهم العبيد لا يتمتعون بأية حقوق. هذا في داخل أوروبا. أما في خارجها فهم يؤمنون بأن بقية الشعوب كفار، وعليهم أن يعيدوا تنصيرهم مرة أخرى، ولكن في مقابل نهب ثرواتهم على حد ما قاله ريجيس دوبريه: "ذهبك في مقابل إلهي، أعطني الدراهم، وإليك المطلق، إنني أنهب، ولكني أهديك إلى الحق"[١٠].

(٩) د. غوستاف لوبون، سر تطور الأمم، ص ٣٠، ترجمة أحمد فتحي زغلول، دار الفرجاني، القاهرة، د.ت.
(١٠) د. عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات، ص ١٦، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

لقد تحولت الحضارة الأوروبية إلى نهب وسلب وتدمير للحضارات الأخرى لا لشيء إلا لأنها أصبحت تملك قوة ليست عند الأمم الأخرى التي تعيش بعيدا عن أوروبا، واستعانت على ذلك بخطط مدروسة منها إرسال المبشر أو المستشرق لدراسة الخريطة الجيوسياسية ثم يستعين بعد ذلك بالجنود لإخماد أية مقاومة لنهب الثروات. وارتكب الاستعمار جرائم ضد الإنسانية في الوقت الذي ينادي فيه بشعارات تدعو إلى احترام حياة الإنسان وحقه في العيش والطعام والتعليم وغير ذلك من الشعارات البراقة التي تؤمل فيها الشعوب المغلوبة خيرا فإذا بها تنقلب إلى وحشية وبهيمية لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا، ولا تحترم حقا لمغلوب أو مهزوم. ولم تكن المذابح التي ارتكبها الغرب نتيجة لتوحش بعض القادة أو الجنود بل إنها فلسفة تؤمن بأن قتل العبيد ليس محرما في دين المسيح، إنها سياسة ممنهجة ومعتمدة من إيمانهم بأنهم شعب المسيح المختار. ولننظر فيما فعلوه في أفغانستان من الدمار، وما فعلته فرنسا في الجزائر حيث أبادت ما يزيد عن مليون إنسان، بدم بارد، وما فعلته أمريكا بالعراق في حربها سنة ٢٠٠٣م، وما قتلت من أبنائه رجالا ونساء وأطفالا، وما نهبت من نفط العراق، وما اغتصبت من نساء. وليس ذلك كله إلا بناء على عقيدة تؤمن بأن البشرية كلها عبيد لدى الجنس السامي الذي يجب أن يخدم، ومن يعترض يقتل وتنهب أمواله، سواء أكان المعترض شخصا أو شعبا.

ففي الوقت الذي ارتقت فيه البشرية علميا وماديا ارتكست فيه أخلاقيا في حمأة العنصرية البغيضة التي يعيشها الغرب ضد الإسلام والمسلمين، وعلى الرغم من اتساع رقعة العلم وكثرة المتعلمين، والثورة المعلوماتية الهائلة التي نشأت عن وسائل التواصل الاجتماعي، والانفتاح العالمي الذي حول العالم كله إلى قرية صغيرة يتعرض المسلمون –في كل مكان من العالم– إلى خطاب كراهية يتم الترويج له بصورة ممنهجة، وآلة إعلامية ضخمة، وتنفق مليارات الدولارات على محاربة الإسلام خوفا من انتشاره.

وقد اتخذت الحرب على الدين الإسلامي صورا شتى، منها:

١- المصطلحات المفزعة:

يضع الغربيون مصطلحات هلامية لم يتفق على تعريف لها وألصقت هذه المصطلحات بالإسلام والمنتمين له، وهذه المصطلحات تسبب رعبا لمتوسطي الثقافة والعوام من الغربيين، والإعلام يعمل على التخويف والترهيب من الإسلام وأهله. ومن هذه المصطلحات:

- الإرهاب وهو مصطلح غربي لا يقصد به سوى الإسلام، ولم يتصف به سوى المسلمين على الرغم من أن الغرب لم يضع له مفهوما محددا يطبق على كل من يفعل أفعالا معينة قد وضعت في قواميس اللغة، ولكنهم قصروا هذا المصطلح على الإسلام والمسلمين فحسب، وقد يرتكب الغربيون أفعالا شنيعة لكنهم لا يصفونهم بهذا المصطلح المخيف.
- الإسلاموفوبيا: وهو مصطلح يغرسه الإعلام الغربي في نفوس العامة والخاصة من خلال إلصاق التهم بكل ما هو إسلامي حتى صار رجل الشارع إذا رأى رجلا يلبس ثوبا أبيض ربط بينه وبين الموت، وكذلك الحال حين يجد امرأة محجبة.
- تنظيم القاعدة، والإرهاب الإسلامي، والراديكالية الإسلامية، والتطرف الإسلامي، والسلفية الإسلامية ومصطلحات كثيرة صارت أوصافا لكل ما هو إسلامي.

٢- مناقضة قيم الليبرالية:

تقوم الليبرالية (Liberalism) على أفكار تدعو إلى الحرية والمساواة بين الناس. أو بمعنى التحررية فكل إنسان حر في تصرفاته دون إكراه من أحد، إنها ببساطة هي المنطقة التي يستطيع فيها الإنسان أن يتصرف دون عائق من قِبَل الآخرين، فإذا تم تقليص حدود منطقة الفرد يمكن وصفه بأنه مكره.

على الرغم من أن كل شخص حر في اختيار دينه إلا أنهم لا يقرون ذلك إذا كان الدين هو الإسلام، لكن يحق للشخص –بمنتهى الحرية– أن يكون ملحدا أو يكون هندوسيا أو يكون من عبدة الكواكب أو البشر أو البقر أو غير ذلك. الحالة الوحيدة التي ليس لك فيها حرية هي اعتناق الإسلام.

كذلك من حق الفرد أن يحصل على عمل يناسب شهادته الدراسية التي حصل عليها، والقانون يكفل له حق الحصول على الوظيفة لكن هذا الحق لا يكون للمسلمة التي ترتدي الحجاب. كما أن من حق الفرد أن يلبس ما يريد وفقا لقيم الليبرالية المتفق عليها غير أن هذا الحق لا تناله المسلمات، بل الأغرب والأعجب أن يكون من حق المرأة أن تمشي في الشارع شبه عارية وفي بعض الأحيان عارية –كما يحدث في بريطانيا في يوم معين– ولا يكون للمرأة الحق في أن تستر جسدها. يقول الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا: "إن كل شيء مسموح به في الغرب إلا أن تكون مسلما"(١١).

---

(١١) د. محمد عباس، لا للوطن كرامة، مقال بجريدة الشعب المصرية، القاهرة، ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٩م.

٣- الإساءة إلى الإسلام:

الاعتقاد بأن الرسوم المسيئة للرسول -(ﷺ)- وللإسلام عموما هي من حرية التعبير مغالطة كبرى، وكذبة شائنة، ولو كانت الإساءات حرية تعبير فلمَ غضب الرئيس الفرنسي ماكرون من الصحيفة البرازيلية التي سخرت من زوجته، ورد بعنف على الرسم المسيء له ولزوجته؟ ولو كان الإساءة من حرية التعبير فهل يقبل أحد من الغربيين أن يساء إلى المسيح، وأقصد هنا المسيح الذي يؤمنون به وليس المسيح الذي نؤمن به -نحن المسلمين- هل يوافقون على سخرية برسمة مسيئة لقضية صلب المسيح أو أعياد النصارى أو غيرها. إن هذه الكذبة تقال لإسكات المعترضين فحسب لكنهم موافقون على الإساءة للإسلام وحده دون بقية الأديان حتى المتخلفة منها التي تعبد حجرا أو شجرا أو بشرا.

٤- ازدواجية المعايير:

حين يساء للرسول -(ﷺ)- فتعترض الأمة المسلمة وتغضب لنبيها يصرح الزعماء أنهم يحترمون الإسلام، ورسول الإسلام، وهم كاذبون لأنهم يكرهون الإسلام وأهله. حين يباح للمرأة بالتعري ولا يباح لها أن تحتشم فهذه ازدواجية في المعايير. حين يأخذ الكاثوليكي حقه، والبروتستانتي، والأرثوذكسي ولا يأخذ المسلم حقه بغير سبب سوى أنه مسلم فهذه ازدواجية في المعايير. حين يعامل المسلم على أنه مواطن من الدرجة الثانية فهذه ازدواجية في المعايير. إلخ هذه القصص التي نشهدها كل يوم من عنصرية هؤلاء الغربيين ضد الإسلام وأبنائه. كان العالم الصيني "ين فو" مؤمنا بالغرب طول حياته حتى انقلب على قناعاته في آخر حياته (توفي سنة ١٩٢١م) وقال قولة مشهورة: "إن الذي حققته شعوب الغرب في القرون الثلاثة الماضية تم بناؤه على أسس أربعة:

١-أن تكون أنانيا ٢-وأن تقتل الآخرين ٣-وأن تكتسب أقل ما يمكن من النزاهة ٤- وأن تشعر بأقل ما يمكن من الحياء"[١٢].

٥- الحرية حلال للشعوب الغربية حرام على الشعوب الأخرى:

وقد تبين ذلك حيث لا يكاد يظهر بصيص أمل من الحرية للشعوب الضعيفة على غرار ما حدث في الربيع العربي حتى تقوم الدول الغربية بوأد هذا الحلم، والسبب في ذلك أن الشعوب

(١٢) د. أحمد صدقي الدجاني (وآخرون)، أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، ص ٣٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢م.

العربية لا تستحق الحرية، وإنما يجب أن تبقى تابعة ذليلة تصدر ثروات بلادها إلى هؤلاء السادة الغربيين، وهم يختارون من الحكام من يؤدي هذا الدور بامتياز، وخير شاهد على ذلك الانقلاب الذي حدث في مصر يوم أن اختار الشعب رئيسًا مدنيا نادى بأن تمتلك الأمة دواءها وغذاءها وسلاحها. ولقد اعترفت آن باترسون السفيرة الأمريكية أنها هي التي أشرفت على الانقلاب حتى تم. وكذلك ما فعلته وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي كاترين أشتون التي ذهبت إلى المعتصمين وتأكدت أنهم لا يحملون سلاحا لمقاومة الانقلاب. وقد جمعنا بعض الكتب التي حمل عناوينها صورة سلبية عن الإسلام والنبي الكريم في الجدول التالي؛ لندرك مدى تجذر الحقد في نفوس المثقفين من الغربيين على الإسلام ورسول الإسلام وهي قليل من كثير، وغيض من فيض:

بعض الكتب التي يحمل عنوانها العنصرية الغربية

اسم الكتاب	اسم المؤلف	المصدر
في المغرب الشبقي	أورورا برترانا	صورة الرسول في الاستشراق الإسباني (ضمن المراجع)
ضد ملة محمد	بيدرو باسكوال	صورة الرسول في الاستشراق الإسباني
في الفرقة المحمدية	بيرتوس باسكوال	صورة الرسول في الاستشراق الإسباني
ضد الجبرية المسلمين	بيرتوس باسكوال	صورة الرسول في الاستشراق الإسباني
طعن المسلمين بسيف الروح	يوحنا الأشقوبي	صورة الرسول في الاستشراق الإسباني
حياة محمد المخادع	هامفري بريدو	صورة النبي في الفكر الأوروبي بين الإنصاف والإجحاف
محمد رسول الهلاك	كريغ وين	صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام
معضلة محمد	بلاشير	صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام
القرآن المفكك	جاكلين شابي	نبوة محمد في الاستشراق الفرنسي

المبحث الأول: الطعن في شخصه -(ﷺ)-

يقول المستشرق الإسكتلندي مونتجمري واط: "ليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حُطَّ من قدره في الغرب كمحمد فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد"

بدأت بهذه المقولة لأحد المستشرقين الذين كانوا يتسمون بشيء من العلمية والمصداقية، وقد تخلى عن أفكاره المسبقة ليحقق الأمور تحقيقا علميا بدلا من الأفكار المؤدلجة التي ما فتئ المستشرقون يطلبون لها ما يؤيدها، فإذا وجدوا قصة ضعيفة وثقوها، وبنوا عليها أحكاما تنسف الموضوعية والعلمية، وتقدح في أخلاقيات البحث العلمي.

هب أن باحثا مبتدئا كان يدرس الطب أو الهندسة وقد حدد لنفسه نتائج قبلية ثم سار في بحثه بطريقة عشوائية وجاء بما يردده عوام الناس، وما يصفه حلاق الصحة عن الأمراض ثم التمس من الحالات التي لم يشاهدها، ولم يتثبت من صحتها ما يؤيد رأيه، فماذا يكون حاله في وقت مناقشة بحثه، والوقوف على نتائجه الملفقة، وأفكاره المسبقة؟ هذا هو حال المستشرقين في حديثهم عن رسول الإسلام، وسنته وعن القرآن الكريم!! إنهم لم يتسلحوا بالحيادية العلمية التي يفرضها البحث العلمي. وإنك لتعجب حين تجد أستاذا كبيرا يدرس في كبرى الجامعات الأوروبية يردد ما يقوله رجل الشارع الأوروبي عن الإسلام دينا وقرآنا ورسولا.

واشتد عجبي حين نقيم لهؤلاء المتحاملين المؤدلجين الوزن الكبير، ونقدم لهم كتبهم على أنها مثال الدراسة المتفتحة، وأن مناهجهم هي الطريقة المثلى لدراسة شرعنا وديننا ودنيانا أيضا.

وإن نظرة عجلى لكلام كبار المستشرقين –أو قل من يعدون كبارا– تثبت بما لا يدع مجالا للشك أدلجة العقول الأوروبية وتحاملها على ديننا ونبينا، وأرى هؤلاء يحصلون على شهادات علمية عالية مع حيادهم عن الحق، وإهانة دين الله الخاتم، ووصم رسولنا بأقبح الأوصاف. ودونك بعض أقوال تدلل على ما أقول: هذا برنارد لويس يقول: "إن الإسلام مزيج ثقافي لا أصالة فيه؛ لأنه مستعار من عدة ثقافات أخرى يهودية ونصرانية، يونانية وفارسية بالإضافة إلى ثقافة بيئته الأصلية وهي البيئة العربية الجاهلية"[١٣]. ليس هو الوحيد الذي يزعم هذا الزعم بل هذه هي نظر الشعوب الأوروبية للإسلام، وهي نظرة كرستها مواقف الكنيسة منذ

---

(١٣) المستشرقون والموضوعية، عبد الحميد أحمد، مقال بمجلة الأزهر المصرية، الجزء الخامس، السنة ٦٨، العدد جمادى الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٥٤١.

العصور الوسطى ليصرفوا الناس عن اتباع دين محمد حين رأوا انتشاره الكاسح، وتوافقه مع فطرة البشر "تنزيل من حكيم حميد" فكان ضروريا أن يختلقوا أكاذيب يروجونها لتصرف الناس عنه فادعوا أنه مزيج من الديانات السابقة عليه، وأن محمدا وضعه لكي يسيطر على العرب ثم توسع بعد ذلك فادعى أنه مرسل إلى البشر أجمعين ليزيد في سلطانه. ثم صوروا المسلمين على أنهم همج متخلفون لا يصلحون للحياة التي يعيشها الغرب فهم أولى بهم العيش في الصحراء حيث امتهان النساء والسلب والقتل والشهوانية وغير ذلك كثير من الصفات السلبية التي ألصقوها بالإسلام والمسلمين، ولذلك أنا أجد مبررا لمن يعتدون على المسلمين في أوروبا أو يتحمسون فيرسمون الرسوم المسيئة للرسول الكريم، أو ينتقصون من الإسلام ورسوله وأتباعه فكل هؤلاء أسرى لنظرة حقيرة سائدة عن الدين الأعظم الذي هو دين الإسلام. يقول المستشرق سبرنجر Sprenger: "إن الإسلام مجموعة إلحاد من عمل الشيطان، وإن نبي الإسلام العربي الماكر الوسخ أفاق ومخادع، ولص نياق خليع وساحر، كان رئيس عصابة من قطاع الطرق، وكان مصابا بالهستيريا والجنون، مات في نوبة سكر، وأكلت جثته الخنازير، وإن المسلمين مجموعة من الوحوش"[١٤].

وهنا يبدو كلام المستشرق بعيدا عن العلم والعلمية والموضوعية وإنما هي وصلة سباب وشتم بأقبح الألفاظ، وأقذر العبارات. فالصورة النمطية المتوارثة عن الرسول صورة سيئة زادتها بحوث المستشرقين سوءا وقبحا لدى القارئ العادي، ورجل الكنيسة العامي، بل هي قبيحة عند الدارسين المؤدلجين –وهم كثر– ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومما يؤسف له أن يكون كبيرهم البابا بنديكتوس السادس عشر Benedict XVI صاحب رأي مماثل، وقول مشابه لما عليه العوام فهو –في محاضرة أمام جمع من العلماء الألمان– يستهل محاضرته بنص يقتبسه من أحد الكتب الاستشراقية: "أرني ما قدم محمد من جديد، سوف لن تجد إلا أمورا شيطانية وغير إنسانية، مثل أوامره التي دعا إليها بنشر الإسلام عن طريق السيف"[١٥]. كما ردد رئيس حزب التقدم المسيحي النرويجي كارلي هاغين كلمة للمسيح –عليه السلام–: "دعوا الأطفال الصغار يأتون عندي" ثم أضاف: "أنا لا أعرف قولا مشابها لمحمد؛ فهو قال: دعوا الأطفال يأتوا إليَّ لكي أستطيع استخدامهم في الحرب لأسلمة العالم"[١٦]. وهكذا تبدو الصورة قاتمة في الأوساط العلمية كما

---

(١٤) حضارة العرب، جوستاف لوبون، ١٤٧، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.
(١٥) لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام، باسم خفاجي، ٣٩. نقلا عن صورة النبي في الفكر الأوروبي بين الإنصاف والإجحاف، محمد زرمان، ٢٥٨٨، من كتاب مؤتمر: نبي الرحمة محمد -(ﷺ)- الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، ٢٠١٠م.
(١٦) نقلا عن المصدر السابق.

ذكرت من قول سبرنجر، وفي الأوساط الدينية على أعلى مستوياتها كما في قول بنديكتوس، وفي الأوساط السياسية كما ذكر كارلي هاغين. وليس هذا التصور مقصورا على بلد دون آخر فكل أوروبا تؤمن بمبدأ واحد، ودين واحد، وتصور واحد تجاه الإسلام، ورسول الإسلام. والغريب هو انصباب اهتمام الغرب على دراسة الإسلام ودينه ورسوله بدأب شديد، وصبر طويل، حتى فهموا منهج الإسلام، وكتبوا حوله كتبا كثيرة في الفترة من ١٨١١ إلى ١٩٥٠م قدرها أحد الدارسين بـ "ستين ألف كتاب تعنى بالشرق العربي وحده"[١٧]. ومع هذا الكم الهائل استطاع المستشرقون أن يرسموا الصورة الذهنية لدى الشعوب الأوروبية عن الإسلام فكل مستشرق "مأمون عند كل أوروبي من أول طبقة الرهبان والساسة إلى آخر رجل من جماهير الناس، مأمون على ما يقوله، مصدَّق فيما يقوله"[١٨]. إنه لم يكن شيء سببا لكراهية الغربيين لديننا إلا الحقد والحسد والتعصب والعنصرية.

وحتى لا ننساق وراء كتابات المتعصبين من المستشرقين، فيخرج البحث عن مغزاه نعود إلى ما ابتدأنا الكلام فيه؛ وهو أنه ما من أحد حط من قدره لدى الغربيين مثل محمد -(ﷺ)- ولعلنا نأتي مع كل فكرة نذكرها بما يؤيدها من كلام الغربيين وقراءتهم المؤدلجة ضد رسولنا وديننا.

من صور الطعن في شخصه -(ﷺ)- **أنهم كرهوا اسمه وحرفوه** بما لا يليق به؛ ففي الفرنسية يسمونه: Mohamet، وفي الإيطالية Macometto، والمستشرق درمنجم Emile Dermenghem يذكر رواية ضعيفة أن اسم النبي هو قُثَم Qotham أو Zobath وأن اسم محمد استخدم في مرحلة لاحقة. ومن الأسماء التي ألحقها به الغربيون mahound وهي تعني الشيطان، وقد رفض المستشرق مونتجمري هذا الاسم واعتبر ذلك من آثار الصورة السوداء المنتشرة عن الرسول الكريم في أوروبا[١٩].

ينقل الدكتور منصور الخريجي عن الباحث الأسباني ميجول آسن اقتباسا يقول فيه: "كان الرسول في نظر بعضهم مشركا، وفي نظر بعضهم مسيحيا. وقد أطلقت عليه بالترتيب الأسماء الآتية: أوسن (Ocin)، بيلوجيوس (Pelogius) نيكولاس (Nicholas) موهومت (Mohomet). ويصوره البعض كساحر، حتى أن بعضهم أطلق عليه اسم عالم بولونا

(١٧) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر المسلاتي، ٧٣، دار اقرأ، طرابلس الغرب، ليبيا، ١٩٨٦م.

(١٨) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، عبد العظيم محمود الديب، ص ٤٠، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ١٤١١هـ.

(١٩)

(Bologna) وقد قيل: إنه أسباني، أو روماني بل فرد من عائلة كولونا (Colonna) ويدعي بعض المؤرخين أنه كان قسيسا أو كاردينالا طمع في البابوية فخرج إلى بلاد العرب من القسطنطينية أو من عكا أو سميرنا"[٢٠]. ودانتي الشاعر الإيطالي يضع رسولنا محمدا في الفلك الثامن في الجحيم مع أرباب الفتنة التي أحدثت الانشقاق الديني، ويصوره في عذاب مهين[٢١]. وعلل ذلك بأنه: "مجرد رجل متعصب أخذ المسيحية وغيَّر معناها، وهو الباذر بذور الفضيحة والشقاق)[٢٢]. هذه صورة من صور الحقد على الإسلام ونبي الإسلام حتى على اسم النبي – (ﷺ)– ولعل هذا يذكرنا بما كانت قريش تنعت به رسولنا من قولهم له بدلا من (محمد) كانوا يقولون: مذمم. وفي البخاري عن أبي هريرة: (ألا تَعْجَبُونَ كيفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ ولَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، ويَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وأنا مُحَمَّدٌ) .

لقد شكك المستشرقون في اسم محمد، وأطلقوا عليه أسامي مختلفة لم يكن الغرض منها إلا الذم والحط من قدره، يذكر المستشرق لامانس أن "اسم محمد سيظل لغزا من الألغاز التي لم تُحَلّ"[٢٣]. ويذكر أحمد أبو ريد أن "كلمة محمد نعت ذو معنى خاص لذلك فهو لقب ليس إلا"[٢٤]. وهكذا نجد الحقد طافحا من المثقفين منهم، فلا عجب أن يقوم الرعاع بحرق المصحف أو شتم النبي أو رسم صور مسيئة له –(ﷺ)– فالمثقفون متحاملون مؤدلجون فلا عتب على العامة والسوقة. يقول جوستاف لوبون: "إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، والتعصب الديني هو الذي أعمى بصائر مؤرخي الغرب عن الاعتراف بفضل محمد)[٢٥].

من صور الطعن في رسول الله أنهم ادعوا **أنه مصاب بالصرع والهستيريا** يقول غوستاف لوبون: "وقيل: إن محمدا كان مصابا بالصرع. ولم أجد في تاريخ العرب ما يجيز القطع بذلك، وكل ما في الأمر ما رواه معاصروه –وعائشة منهم– أنه كان إذا نزل عليه الوحي اعتراه احتقان فغطيط فغثيان. وإذا عدوت هوس محمد ككل مفتون، وجدته حصيفا سليم

---

(٢٠) النبي -عليه السلام- في آثار دانتي والدانتيين، د. منصور الخريجي، ص ١٧٠، المجلد الأول، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، ١٩٧٠م

(٢١) محمد: سيرة النبي، كارين أرمسترونج، ٤٤، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، شركة سطور للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

(٢٢) ا النبي -عليه السلام- في آثار دانتي والدانتيين، د. منصور الخريجي، ص ١٦٦، مرجع سابق.

(٢٣) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، محمد إسماعيل علي، ١٥٧، دار الكلمة، ٢٠٠٠م.

(٢٤) السيرة النبوية: دراسة تصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية، أحمد أبو ريد، ٥٠- ٥١، دار التقريب، بيروت، ٢٠٠٤م.

(٢٥) حياة محمد وعمله، سبرنجر، ١/ ٢٠٧. نقلا عن الدكتور عبد الحليم محمود، أوروبا والإسلام، ٨٩، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

الفكر"[٢٦]. ثم يعود ويقول: "ويجب عدُّ محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات". ويسميها نولدكه: "نوبات عنيفة من الانفعال"[٢٧]. كما يسميها جولدتسيهر: "الباثولوجية المرضية"[٢٨]. ويعرفها أنها "أمراض معيَّنة تصيب الرجال الذين هم فوق مستوى البشر دون سواهم. وليس هذا الرأي جديدا فإن مارتن لوثر زعيم المذهب البروتستانتي في القرن السادس عشر يرسم صورة سلبية للإسلام واعتبره انحرافا وهرطقة –على الرغم من موقفه المناهض للكنيسة– ويجعل الإسلام هو جسد المسيح الدجال والبابا رأسه، ثم يسيء إلى الرسول الكريم ويقول: "إن محمدا هو الشيطان، وهو أول أبناء إبليس، وإنه كان مصابا بالصرع، وكانت الأصوات –التي يسمعها كأنها وحي– جزءا من مرضه"[٢٩].

ولئن كنت قد سجلت آراء البعض ونسبت أقوالهم إليهم فإن هذا قليل من كثير، وغيض من فيض؛ فأغلبية المستشرقين ماديون، لا يؤمنون بالغيب أو ما وراء العالم الواقعي، ولذلك كان لجوؤهم إلى تفسير الوحي بهذه الصورة المضحكة التي تنم عن أحد أمور: استخفاف بعقول القارئين، أو معرفة الحق والحيدة عنه، أو أدلجة القراءة للتلبيس على شعوبهم، أو إشغال العالم العربي بالبحث عن ردود لما يلصقونه بدينهم ونبيهم، وإن شئت فقل: كل هذا ممكن وجائز.

وما من شك أن الوحي من عالم الغيب، وهم لا يؤمنون بالغيب، ولا يصدقون ما وراء الطبيعة والواقع، وهذا ضرب من الجنون أو قلة العقل أن يكون إيمانك بما تراه فحسب. فالعقل غير مرئي، والكهرباء غير مرئية وإنما المرئي منها أثرها، وقس على ذلك. ونستطيع أن نرد عليهم سريعا بعدة أمور لحظية منها:

١- أن المصروع والموسوس حين تأتيه نوبات الصرع لا يتذكر شيئا من الحالة التي كان فيها بل يكون عقله ذاهبا، ورسولنا يأتيه الوحي فيملي على صحابته ما ينزل عليه.

٢- أن المستشرقين يريدون من وراء إنكار الوحي إنكار رسالة الرسول، وينسبون إليه تأليف القرآن، وهنا يصطدمون بحقائق يعجزون عن تفسيرها؛ فلقد أخبر القرآن عن حقائق كونية لم تتحقق إلا في ظل تطور العلم الحديث وتقدمه؛ كالانفجار العظيم، ونقصان كمية الأوكسجين مع الارتفاع إلى الأعلى، ودحو الأرض وغيرها من الحقائق العلمية.

---

(٢٦) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ١٤، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

(٢٧) تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ٢٤، تعديل فريدرش ديتريش، دار جورج ألمز، فيسبادن، ٢٠٠٠م.

(٢٨) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر، ١٧، دار الرائد العربي، بيروت، د.ت.

(٢٩) موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ٥٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٣- أن أصحاب العاهات والأمراض المزمنة لا يقيمون دولا كبيرة، ولا ينشرون دينا عظيما، وإنما ينشغل أحدهم بمرضه، وعلاج نفسه عن هموم الأمة، ورسول الله لم يترك الدعوة، ولم يتوان في شأن إقامة الأمة الإسلامية حتى نصره الله.

٤- أن بعض المستشرقين اعترف بالوحي لكنه أراد أن الوحي خاص بالعرب، وليس للعالمين جميعا، وهذا الاعتراف ينسف رأي القائلين بأنه هوس وصرع.

من صور الطعن في رسول الله أنهم ادعوا **أنه صاحب شهوانية مفرطة** وهذا الرأي قد ذكره كثير من المستشرقين مثل هامفري بريدو Prideaux، حيث ألف كتابا عنوانه: "حياة محمد المخادع" أو "محمد طبيعة الدجل الحقيقية"[٣٠]. فقال: "كان الشطر الأول من حياة محمد يتسم بالإباحية الشديدة، والآثام العظيمة الباغية، وكان يجد متعة كبيرة في السلب والنهب وإهراق الدماء... كانت النزعتان اللتان تملكان لبه هما: الطموح والشهوة، وكان السبيل الدموي الذي سلكه لبناء الإمبراطورية دليلا ساطعا على النزعة الأولى، وكانت زوجاته الكثيرات دليلا قاطعا على النزعة الثانية. والواقع أن النزعتين تسيطران على إطار دينه برمته، ولا يكاد فصل من فصول القرآن يخلو من ذكر قانون من قوانين إراقة الدماء، أو ينص على الحرية المطلقة في معاشرة النساء"[٣١].

ويذكر مونتجمري وات ما يفيد بأن النبي -(ﷺ)- كان شهوانيا ذا رغبة قوية في معاشرة النساء حين يقول: "نعلم من بعض الوثائق أن محمدا -بالإضافة إلى زيجاته الشرعية واتصاله بالجواري- كانت له علاقة مع نساء أخريات، وذلك حسب النظام الأممي القديم"[٣٢]. وعلى الرغم من أنه فسَّر تعدد زواج النبي الكريم بأسباب سياسية إلا أن الاقتباس السابق يفيد انتقاصا من شأن رسولنا الكريم -(ﷺ)-، ويحط من قدره. وكما ألمحت قبلُ فهذه الإشارات قليل من كثير من تركيز المستشرقين على هذه الفرية، ومحاولة إلصاقها بالرسول الحبيب. والرد على ذلك هيِّن ميسور، بيد أننا نلفت النظر إلى أن الطعن في أخلاق نبينا هدم للدين من أسِّه، وإن التهم الموجهة إليه في هذا الجانب ما قصدت إلا الحط من قدره؛ لتنفر الناس عنه في خطوة استباقية من الكنيسة ورجالها -والمستشرقون معظمهم من رجالها- لصدِّ الناس عن اتباع دين الإسلام الذي وجدوه أكثر إقناعا، وأقرب إلى الفطرة، والناس يسارعون في اعتناقه، فوجدوا أن وسيلتهم

---

(٣٠) هكذا ترجم الاسم محمد زرمان في بحثه: صورة النبي في الفكر الأوروبي بين الإجحاف والإنصاف، ٢٥٦٩، ضمن أبحاث مؤتمر: نبي الرحمة محمد -(ﷺ)- الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، الرياض، ٢٠١٠م.

(٣١) محمد: سيرة النبي، كارين أرمسترونج، ٥٦، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، شركة سطور للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

(٣٢) محمد في مكة، مونتجمري وات، ٤٣٤،

الماضية –إضافة إلى وسائل أخرى– هي إلصاق التهم به حتى لا يفكر أحد من شعب الكنيسة في اتباعه. وفي إطار الرد على الفرية نقول:

هل يعقل أن يكون الرسول على هذه الصفات، وهو الذي شهد له أهل مكة أجمعون قبل بعثته، وشهد له أعداؤه بعد بعثته، وشهد له من اطلعوا على جانب من أخلاقه، حتى أن المستشرقين أنفسهم شهدوا له بالفضل، ومنهم من أشاع هذه الفرية عنه. يقول: صاحب موسوعة الحضارة ويل ديوارنت :WILL DURANT " إذا أردنا أن نَحكُم على العظمة بما كان للعظيم من تأثير في الناس، لقلنا: إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به حرارة الجوِّ وجدب الصحراء في دياجير الهمَجية"(٣٣).

إننا لولا أن أخذنا العهد على أنفسنا على الرد على الافتراءات التي ألصقت زورا برسول الله لأعرضنا عن كلام هؤلاء العنصريين، وما أتعبنا أنفسنا بالكلام؛ لأنها تهم متهافتة لا تستحق الرد، ولا يوقف عندها، وكل من عرف شيئا عن الرسول أدرك أن مقامه أعلى من أن يوصف بها، لكن الأعداء لا ينامون ليلا ولا نهارا في محاولات يائسة لهدم الدين الذي أظهر تبديلهم وتحريفهم للتوراة والإنجيل، ولكن الله ناصر دينه ومعز عباده رضي من رضي، وأبى من أبى، **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**.

١- لو كان رسول الله شهوانيا ما تزوج امرأة تكبره بخمس عشرة سنة، ولو أنه تزوجها ما قصر حياته الزوجية عليها حتى ماتت وهي في الخامسة والستين وهو في الخمسين.
٢- كان من الممكن أن يبيح النبي لنفسه أن يتزوج بعدها بكرا لكنه تزوج ثيبا كبيرة في السن أيضا هي سودة بنت زمعة وهي في الثانية والخمسين من عمرها، وبقي معها ثلاث سنين أخرى حتى تزوج بعائشة.
٣- هل يعقل أن يقال: إن النبي كانت له علاقات نسائية غير زوجاته وإمائه؟ هذا الكلام لم يقل به مبغض على مرّ العصور، لكن رأى بعض المستشرقين أن يلصقوا به كل التهم فلعل إحداها تصيب المسلمين بدوار، أو تأخذ منهم مأخذا يشككهم في دينهم.
٤- تعدد النساء كان ضرورة دينية للدين والدعوة، واجتماعية تعليمية للمسلمين، وسياسية يقيم بها علاقات نسب وصداقة مع الخصوم.

(٣٣) قصة الحضارة، للمؤرِّخ الأمريكي WILL DURANT المتوفى سنة ١٩٨١، ج ٤: "تاريخ الإيمان"، ص ١٧٤، طبعة دار Simon & Schuster NEW YORK، ١٩٥٠م.

٥- لو كان النبي محبا للشهوات مفتونا بها هل كان يرضى بعيش الكفاف الذي كان فيه؟ وحتى حين فتحت عليه وعلى أصحابه الدنيا إذا به يخيِّر نساءه بين الرضا بالحياة البسيطة الزاهدة أو الفراق وآيات القرآن خير شاهد على ذلك.

٦- يقول العقاد: "قال لنا بعض المستشرقين: إن تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية. قلنا: إنك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية؛ لأنه لم يتزوج قط، فلا ينبغي أن تصف محمدا بأنه مفرط الجنسية؛ لأنه جمع بين تسع نساء"(٣٤).

٧- ثبت في صحيح البخاري أن سليمان بن داود كانت له مئة امرأة، وابن كثير وابن حجر يرويان أنه كان له ألف نقلا عن بني إسرائيل. وقد كان لأبيه كذلك ثماني عشرة زوجة في أقل الآراء. فلو فرض أن تعدد الزوجات سبة، وكبيرة من الكبائر –كما يصورها المستشرقون– فهل حلال لأنبياء بني إسرائيل وحرام على محمد؟

من صور طعن المستشرقين في شخص النبي –(ﷺ)– أنهم ادعوا أنه **تزوج عائشة وهي طفلة بنت تسع سنين،** وأقوالهم في ذلك كثيرة، والسؤال هنا يدور حول شبهة يقصد بها تشويه صورة نبينا الكريم، والحق أن هذه ظاهرة اجتماعية كانت قبل ظهور الإسلام، وحين جاء الإسلام وجدها عرفا جاريا، فهذا حال المجتمع ومن الخطأ أن نحاكم مجتمعا عربيا له أعراف وتقاليد قبل ألف وأربع مئة عام إلى قواعد وقوانين محدثة أدى إليها نمو المجتمع، وظهور مشكلات لم تكن موجودة قبل، فاختلاف البيئة، واختلاف الزمن، وطبيعة الحياة، وعادات الناس تختلف بين القديم والحديث، ولنذكر الرد على هذه الشبهة في نقاط منها:

١- إذا كان هذا الزواج مستغربا، وكان محمد –(ﷺ)– فيه متوحشا يلهو بالقاصرات!! ألم يكن له أعداء في بيئته؟ ألم يكونوا يتصيدون له الهِنات؟ فلماذا لم يكن ذلك مأخذا يقدح في دينه ودعوته؟ ولماذا لم يشيعوا عنه أنه شهواني منحرف في سلوكه وأفعاله؟

٢- في الدراسات الحديثة أن سن التوافق الجنسي هو سن البلوغ وهو يحدث في تلك السن التي تزوجت فيها عائشة، ولو كانت صغيرة –كما يدعي المغرضون– لما آذاها نبي الرحمة الذي كان يوصف بالرحمة حتى مع الحيوان والجماد.

٣- هل يمكن أن نحاكم زواجا تم قبل ألف وأربع مئة سنة بقوانين القرن العشرين أو الحادي والعشرين؟ أليس هذا ظلما وتجنيا؟ إن القصد من هذه الفرية التي لم يقل بها ألدّ أعداء الإسلام في الزمن هو الإساءة إلى نبي الإسلام؛ ليسقطوه من أعين المسلمين، ويصوروه

---

(٣٤) عبقرية محمد، عباس العقاد، ١٥٦،

في صورة الوحش الشهواني الذي لا يكاد يترك امرأة –صغيرة أو كبيرة– إلا افترسها. ولكن هيهات فإن حبه أحب إلى المسلمين من آبائهم وأمهاتهم وأولادهم بل من نفوسهم التي بين أجنابهم.

٤- لقد كان لزواج عائشة من رسول الله أثر كبير في توريث هذا الدين، وبخاصة ما يهم النساء من أحكام شرعية، وعائشة قد روت أحاديث كثيرة وكانت من كبار علماء الصحابة الذين يرجع إليهم في الأحكام المحتملة لوجوه عدة من هذا الدين، ليس هذا فحسب بل وطدت العلاقة بين النبي وسيد الصحابة أبي بكر، الذي صار خليفة المسلمين بعد، وخير رجل في الأمة بعد رسول الله.

٥- لو علم أبو بكر وزوجته أن في ذلك إيذاء لابنتهما هل كانا سيوافقان على زواجها في هذه السن؟ أم كانا سيطلبان من الرسول الانتظار حتى تبلغ ابنتهما مبلغ النساء؟

٦- بعض الذين يحققون في سن عائشة يذكرون أنها كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي، وأن سبب ترك جبير لهذه الخطبة كانت الدين الذي آمن به أبو بكر فلو كان هذا الاستنتاج صحيحا فلو فرض –جدلا– أن عائشة خطبت يوم ولدت والرسول قد جلس في مكة ثلاث عشرة سنة، وتزوج عائشة في السنة الثانية للهجرة، فيكون عمر عائشة يومئذ خمس عشرة سنة على أن هؤلاء المحققين يجعلون سنها سبع عشرة أو ثماني عشرة.

من صور طعن المستشرقين في شخص رسول الله –(ﷺ)– أنهم ادعوا أنه **رأى زينب بنت جحش في بيتها عارية فعشقها وطلقها من زوجها وتزوجها.** فقد نقل الدكتور عبد الرحمن بدوي عن المستشرقين هذه الشبهة التي صوّرت قصة زواج النبي الكريم من زينب بنت جحش رواية عاطفية، "حيث كان النبي قاصدا بيت ابنه بالتبني زيد بن حارثة فلم يجده هناك، ولمح زوجته زينب في بيتها عارية ومغرية، فعشقها، وتناقل الناس الحكاية، فاضطر زيد إلى تطليقها، وحتى يجد النبي مبررا للزواج منها تدخل الوحي لإلغاء التبني، وإلقاء زينب بين ذراعي النبي"[(٣٥)]. ثم كان التعقيب الذي رموا إليه وهو: إن محمدا جعل الوحي في خدمة شبقه الجنسي.

وحين قرأت هذه الفرية تراءت أمام عيني هوليود، وما يتم تمثيله فيها من أفلام عاطفية بعيدة عن الواقع، بل مناقضة له تماما. ولست أدري أنعيد حديثنا عن أنه تزوج خديجة وهي أكبر منه، أم نعيد حديث زواجه من سودة وهي كبيرة بدينة ذات أولاد خمسة أو ستة، أم ماذا نقول عن أَمْرٍ من الله صَدَرَ إلى رسوله أن يبطل عادة جرى عليها عرف الناس وعادتهم، وأراد القرآن أن

---

(٣٥) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن محمد -(ﷺ)- ضد المنتقصين من قدره، ٨٠- ٨١.

يبطلها حتى لا يرث الرجلَ من ليس من صلبه كما في قوله تعالى: ﴿**وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ**﴾. يقول سيد قطب: "وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة، حملها رسول الله -(ﷺ)- فيما حُمِّل، وواجه بها المجتمع الكاره لها كل الكراهية، حتى ليتردد في مواجهته بها، وهو الذي لم يتردد في مواجهته بعقيدة التوحيد، وذم الآلهة والشركاء، وتخطئة الآباء والأجداد!"[٣٦]. ومع ذلك تكلم المنافقون قديما، وتكلم الكافرون حديثا في هذا الأمر فانطلقت ألسنة المنافقين تقول: تزوج حليلة ابنه. "ولما كانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد، فقد مضى القرآن يؤكدها، ويزيل عنصر الغرابة فيها، ويردها إلى أصولها البسيطة المنطقية التاريخية: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فقد فرض له أن يتزوج زينب، وأن يُبطِل عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء، وإذن فلا حرج في هذا الأمر، وليس النبي (ﷺ) فيه بدعا من الرسل"[٣٧]. ونريد أن ملمح إلى أمرين مهمين: أولهما: أن زينب لم تكن غريبة عن رسول الله قبل زواجها من زيد، ولم يكن الحجاب قد فرض فقد رآها وعرفها، ولو كانت له رغبة فيها ما زوجها لزيد. وثانيهما: أن الفطرة السليمة لا تجعل الرجل يهوى زوجة ولده مهما كانت جميلة أو فاتنة وأن هذا الذي ذكره المستشرقون إنما هو من تخيلات هوليود، ومن غيظ وحقد دفين، وقراءة للسيرة موجهة ومؤدلجة يقصد منها تشويه قدوة المسلمين؛ ليشككوا المترددين في دينهم، ويلبسوا عليهم عقيدتهم. وقد رفض مونتجمري الاتهامات التي وصفت النبي بأنه كان شهوانيا ويبحث عن اللذائذ الجنسية مع النساء[٣٨].

ونختم بشبهة مضحكة من شبهات المستشرقين وهي من صور الطعن في شخصه -(ﷺ)- فقد ذكر لامانس أن النبي الكريم **كان أكولا قد كثف جسمه بالملذات،** ومرة ثانية وصف نبينا **بالجبن والهلع في الغزوات.** ولم يَتَّهم النبي بهاتين الصفتين في القديم ولا الحديث أحد غيره، حتى المتحاملون منهم وصفوا النبي الكريم بأنه كان قليل الطعام، ولم يكن جبانا خوارا. وهذا من محض الخيال، ويعد لامانس من المستشرقين ذوي الخيال الواسع الذي يكذب الكذبة، ويناقضها وقد رد عليه غيره من المستشرقين. وحاشا النبي الكريم أن يكون أكالا جبانا، إنهم يريدون هدم النموذج البشري؛ ليعيش الناس معيشة البهائم لا يجدون نموذجا بشريا اعتلى فوق الشهوات، وعاش عابدا لربه، متصفا بكامل الأوصاف الخلقية النبيلة. ولست أحب أن أطيل في أمر مثل هذا لكن أذكِّر فحسب بحديث مرور ثلاثة أهلة في شهرين، لا يوقد في بيته نار، يعيشون على التمر والماء، وقد خيَّر نساءه بين البقاء معه على ضيق العيش: يجوع يوما فيصبر، ويشبع يوما فيشكر، أو المفارقة فاخترن العيش معه على هذه الحال. ألم يقرأ هذا

---

(٣٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٨٦٩.

(٣٧) المصدر السابق.

(٣٨) محمد النبي ورجل الدولة، وليام مونتجمري، ٢٠١- ٢٠٣.

الكذوب ذلك من قبل؟ ثم ألم يقل الصحابة: كنا إذا حمي الوطيس احتمينا برسول الله؟ ألم يفزع الناس يوما فخرجوا يطلبون الصوت فوجدوا الرسول الكريم قد استجلى الخبر على فرس عريان وعاد وهو يقول: لن تراعوا؟ أيوصف بالجبن من هذه صفاته؟ وما كذب هذا المستشرق إلا لحقد في قلبه عليه -(ﷺ)-.

المبحث الثاني: الطعن في رسالته -(ﷺ)-

كما رأينا المستشرقين يطعنون في شخص رسول الله ليسقطوه من أعين أمته، نراهم يطعنون في سنته، وهم لا يؤمنون بها، ولذلك افتروا عليها الكذب وهم يعلمون أن سنته من أعظم السنن، وأنها بريئة من العيوب التي عابوها بها. ولكن نردد مع المتنبي قوله:

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض ... يجد مرًّا به الماءَ الزلالا

ومن صور طعنهم في رسالة النبي وسنته **إنكار الوحي** فالمستشرقون ينكرون أن يكون مصدر الوحي إلهيًا، كما ينكرون نبوة محمد -(ﷺ)- وكل ما يذكرونه مترتب على هذه الفكرة؛ فكرة أن يكون محمد نبيًّا من عند الله، ومن هنا تنوعت أفكارهم، وتخبطوا بصورة كبيرة؛ فمنهم من يفسر الوحي الذي نزل على النبي بأنه صرع وهلوسات، ومنهم من جعله عبارة عن صفاء روحي بلغ به درجة تخيل أنه نبي، وأن ما كان يعتري النبي من نزول الوحي إنما هو تمثيل على الأصحاب لكي يصدقوه، ومنهم من عزا الوحي إلى خليط من الديانتين اليهودية والنصرانية، ومنهم من زعم أن النبي قد تلقى هذا الكلام من الراهب بحيرا، إلى تفسيرات أخرى كثيرة كلها تكذب الوحي، وتنفي أن يكون محمد رسولا.

والفرق بين هذه الادعاءات وبين رأي الشعب الأوروبي في العصور الوسطى هو السباب والشتم والتصريح بأن محمدا كذاب مخادع. فالغربيون يرون العرب -بأقلام كبار كتابهم ومفكريهم- على أنهم "شعب رعاع"، و"أمة سفاح"، "تكرس جسدها وروحها للانتقام"، و"أن الإسلام هو الإنكار الكامل لأوروبا. فالإسلام هو احتقار العلوم، وإلغاء المجتمع المدني، وهو الغباء القاتل للعقل السامي، الذي يدفع العقل الإنساني إلى الضمور، ويغلقه أمام أية فكرة رقيقة، وأمام أي شعور رهيف، وأي بحث عقلاني، ليضعه أمام شمولية خالدة هي: الله هو الله.

ومن المؤسف أن يتأتى هذا الاستشهاد الأخير عن لسان أحد كبار مفكري القرن التاسع عشر في فرنسا، وهو القس أرسنت رينان Ernest Renan ليضيف آخر: "إن شريعتهم الملعونة التي أعطاها لهم مُحمد تأمرهم بإيذاء الآخرين الذين لا يدينون بإيمانهم"[٣٩]. لكن يبدو

---

(٣٩) موقف الغرب من الإسلام في صراه الحضاري، زينب عبد العزيز، ٦٨.

أن الاستشراق مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين بدأ يتخفف من لهجة السب والشتم والإقذاع إلى طريقة أكثر فاعلية وهي التشكيك في كل شيء يخص الإسلام ونبيه؛ حتى ينفروا الغربيين من اتباع هذا الدين، إذ إن الإسلام سريع الانتشار ولو خلِّي بينه وبين الناس، ولم يمارس التضليل عليه، لآمن من في الأرض كلهم جميعا، ولذلك كان الاستشراق بمثابة حائط صد قوي دون انتشار الإسلام في أوروبا.

وإذا كان أصل القضية إنكار الرسالة، وعدم الاعتراف بنبوة النبي فهذا هدم للدين من أصله، فكيف تناقش من ينكر دينك، ويجعل نبيك كاذبا مخترعا للدين، بل أغرب من ذلك أن منهم من يجعل النبي محمدا راهبا مسيحيا طرد من الكنيسة، أو انشق عنها، فاخترع الدين لينتقم من النصارى. أو أنه تعلم على يد راهب منحرف مطرود من الكنيسة، وأنه لقنه تعاليم التوراة والإنجيل فحرفها وأخرج منها الوحي. ولست أرى هذه الفرى إلا من أن الإسلام دين من عند الله وهم يعلمون لكن الكِبر يمنعهم أن يتركوا دين آبائهم كما كان الكفار يفعلون، وقد قرروا تشويه صورته حتى يصرفوا الآخرين، وصدق الله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**﴾ فضلُّوا وأضلوا، وهنا نشير إلى أمور منها:

١- أن الذي يكون لديه صرع أو هلوسة أو تخيلات –كما يردد أكثرهم– لا تستقيم حياته؛ فهو مريض مشغول بمرضه، ومحمد قد أقام دينا عظيما، وأمة قوية، وانتشارا كبيرا، وانتصارا ساحقا فهل يقدر مهووس أو مصروع أن يفعل ذلك؟ وإن كانت الإجابة نعم. فنقول: أين الدليل؟ ومثلوا لنا بمثال واحد.

٢- كان العرب في القمة من الفصاحة والبلاغة، ولكنهم أمام القرآن عجزوا أن يأتوا بسورة واحدة من مثله. فهل يمكن أن يدور بخلد محمد –إذا كان هو مؤلف القرآن– أن يتحدى من هم في قمة الفصاحة والبلاغة؟ وهل يأمن أن يأتي أحد بمؤلف مثل مؤلفه؟ وهنا تبطل حجته وينصرف عنه الناس.

٣- ورد في القرآن إخبار عن أمور تحدث في المستقبل، ووقعت بالفعل، وإخبار عن أمور علمية لم يتوصل إليها العلم إلا في العصر الحديث. فهل كانت قدرة محمد على التنبؤ والعلم إلى هذه الدرجة؟ وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب –وإن كان المستشرقون قد أنكروا هذه أيضا– فلو كان كاتبا قارئا هل كان علمه يطبق المستقبل الحديث الذي يظهر يوما بعد يوم إعجاز القرآن فيه؟

٤- لو كان محمد مؤلف القرآن، أو لديه القدرة على التأليف هل كان ينتظر أربعين سنة ثم يخرج مرة واحدة؟ لو حدث هذا لكان شاذا غير مقبول. ولو كان الأمر كذلك لظهر بعض تأليفه قبل الأربعين في أي موقف من المواقف يتعرض له، ولا سيما وضع الحجر في الكعبة فهذه فرصة مناسبة جدا لكي يجهر بما ينويه. ألا قاتل الله التعنت والكِبر.

٥- لو نفى المستشرقون الوحي عن محمد فلينفوه عن موسى وعيسى، وإذا كانوا من الملحدين، أو من يؤمنون بالطبيعة والمادة، فقد ورد في دين محمد ما سبق العلم الذي شغل به الغربيون، فما هذا التطفيف في الكيل، والتخسير في الميزان؟ أيعقل أن يؤمن البعض بموسى وعيسى، وتأتيهم الدلائل والبينات على صدق محمد –ومعظمهم يشهد له بالصدق والأمانة– فلا يؤمنوا بها؟

٦- لو كان بحيرا الراهب هو من علم النبي أصول دينه الجديد، فلماذا لم يجهر بحيرا بهذه التعاليم ويدعو لنفسه بالرسالة وينال الشهرة التي نالها محمد؟ وهل لقاء واحد بينه وبين النبي –والنبي صغير– يصنع هذا الدين العظيم الذي يتوافق مع فطرة البشر؟ وينظم للمسلم حياته من قبل أن يولد وبعد أن يموت؟

إن افتراءات المستشرقين جميعا أساسها هذه القضية، فلو آمنوا بنبوته ما افتروا عليه هذه الشبهات –وقد آمن بالنبي بعض المخلصين الذين هزتهم عظمة هذا الدين– ولما كان أغلبهم من رجال الدين والقساوسة الذين لبسوا عباءة العلم، وسربال البحث فقد جاءت قراءاتهم موجهة، وعقولهم مؤدلجة، وتفسيراتهم مغرضة بقصد تشويه هذا الدين، ومن أسباب الافتراء كذلك محاولة طمس أثر هذا الدين في بناء نهضة الغربيين الحديثة حيث بنوا على العلوم التي أخذوها عن العرب أصول نهضتهم، فلما كانوا يحقدون على العرب، ويحتقرونهم بحكم العداوة الدينية، أخفوا أن النهضة الحديثة أصولها عربية، ومن هنا اجتهدوا أن يهونوا من أمر الحضارة العربية والإسلامية والدين الإسلامي فطعنوا في الرسول، وفي سنته، وسيرته، وفي القرآن، وفي كل ما يتعلق بهذا الدين الذي اقتحم عليهم دورهم، وآمن به خلق كثير، تركوا الكنيسة، وكفروا بيسوع المسيح، واتبعوا دين الفطرة الصحيح الذي يربي في أتباعه نزع الغل والحقد، والمسئولية الشخصية، وكثيرا من القيم المفقودة في النصرانية المحرفة، كما هالهم أن يبقى القرآن طوال هذه الفترة الممتدة لم يتغير فيه حرف واحد، في الوقت الذي توجد فيه مئات الأناجيل التي يختلف كل منها عن الآخر إلى حد التناقض –أحيانا–

كذلك أبهرهم انتقال السنة بهذه الطريقة الموثقة التي كان بعض علمائها يقول عن بعض الرواة: "فلان نتقرب بدعائه لنا إلى الله، ولا نقبل حديثه" نظرا لأنه كان ينسى، أو قد ضاع كتابه، أو خرف في آخر عمره أو نحو ذلك. لقد بلغ عدد الأشخاص الذين بحث في تاريخهم علم الجرح والتعديل وعلم الرجال نصف مليون إنسان، ففي الوقت الذي تجد أوروبا آثارها عبارة عن كلام لا ثقة فيه، ولا أمانة لقائله تجد حديث الرسول ينقل إلى أتباعه بهذه الطريقة التي يشترطون فيها أن يكون الناقل عدلا تام الضبط عن مثله من أول السند إلى منتهاه بغير شذوذ ولا علة. ومن يقرأ في مصطلح الحديث، أو علم الرجال يبهره مدى الدقة التي يركز عليها علماء الجرح والتعديل، فليس كل راو يقبل حديثه. هذا العمق، والتدقيق والعظمة التي رويت بها السنة المطهرة أزعجت

الغربيين المتشددين العنصريين حتى درسوا هذا الدين لا ليؤمنوا به، (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا) ولكن ليبحثوا عن السقطات، وضعيف الآراء، وشاذ الاجتهادات؛ ليبنوا عليه أحكاما قطعية تنبذ الصحيح الموثق، وتأخذ بالضعيف والساقط والمدلس.

ومن صور طعن المستشرقين في سنة النبي -(ﷺ)- أن **الإسلام قد انتشر بحد السيف** فمحمد وأصحابه تجولوا في أرجاء الجزيرة العربية متعطشين للحرب والدماء، فهم جحافل الظلام المتوحشة، وأصحابه غلاظ شداد يبحثون عن الغنائم والأموال والأسرى ومزيد من الزوجات، ثم انطلقوا نحو الشعوب الآمنة فنهبوها، ونكلوا بها، وزرعوا الشقاق والتعاسة في طريق الناس، ودنسوا قبر المسيح، وقتلوا أعدادا غفيرة من النصارى شهداء الإيمان. وصور أحدهم (إدوارد جيبون) المسلم الذي رباه محمد بصورة بدوي يركب حصانا ويحمل في إحدى يديه سيفًا، وفي الأخرى كتابًا هو القرآن مخيّرا ضحاياه بين الأمرين: الإسلام أو القتل بحد السيف [٤٠]. وقد استشهد البابا بنديكت السادس عشر بقول القائل: "أرني ماذا قدم محمد من جديد؟ لن تجد إلا أمورا شيطانية وغير إنسانية، مثل أوامره التي دعا فيها بنشر الإيمان عن طريق السيف [٤١].

وهكذا نجد نظرة الغربيين إلى نبينا نظرة سلبية بل عدائية، وصورته صورة متوحش قد قدم من الغابات ليلتهم كل عدو، وينهب كل مال يقابله، ويغتصب كل امرأة يلتقي بها. وهي صورة قبيحة ليست من الواقع في شيء، وإنما عمد المستشرقون إلى رسم هذه اللوحة القاتمة الألوان لكي يخيفوا الأوروبيين من الإسلام الذي أبهرتهم سرعة انتشاره، فوضعوا صورة ذهنية مرعبة من الإسلام حتى لا يندفع نحوه شعب الكنيسة لما فيه من قيم تلبي حاجة الإنسان، وتسعد حياته.

وليس غريبا على من امتلأ قلبه بالحقد والغل واحتقار الآخرين أن يكذب، أو يدعي، أو يقتل، فما بالك إذا كان في قرارة نفسه يحس بالدونية، وأن حضارة المسلمين لا تقارن بها حضارة؟ وفي الرد على هذه الفرية نشير إلى أمور سريعة لكنها تفي بالغرض إن شاء الله، منها:

١- أن صاحب الدين الذي يعرف أنه على الحق يدعو إلى دينه؛ لأنه يريد الخير للناس، ويحب الخير للعالمين كما يحبه لنفسه، وديننا جعل كمال الإيمان في أن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه.

---

(٤٠) صورة النبي في الفكر الأوروبي بين الإنصاف والإجحاف، محمد زرمان، ٢٥٨٧، مرجع سابق.

(٤١) لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام، باسم خفاجي، ٣٩، مرجع سابق. وانظر في هذه الشبهة كذلك: ظاهرة انتشار الإسلام، محمد فتح الله الزيادي، ص ١٧٠، سلسلة الكتاب، طرابلس، ط١، ١٩٨٣م. دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص٤٧، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م. وفلسفة الجهاد في الإسلام، عبد الحافظ عبدربه، ص ١٧١، مطبعة الأمان، بيروت، لبنان. تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، ص ٧٨، مرجع سابق.

٢- أن الإسلام لم يعتدِ على أحد، وأن مبادئه لا تتبدل ولا تتغير، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ**﴾ كما أن من مبادئه: ألا يخون المسلم أحدا حتى أعداءه الذين يخونونه ﴿**إِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ**﴾ وفي الحديث: (ولا تخن من خانك).

٣- أن من أعراف الأوروبيين عموما أن سيارة الإسعاف حين تطلق صوتها يوسع الجميع لها حتى تنطلق بأقصى سرعة لإنقاذ مصاب أو مريض، فكيف لو أعاقها أحد؟ سيقول الجميع منهم: يجب عقوبته بل قتله أحيانا. وهكذا الإسلام ينطلق لإنقاذ أكبر قدر من الناس من دخول النار، ولا يحارب إلا من أعاقه وعطله عن مهمته، ولو خلِّي بين الإسلام والخلق لما بقي أحد إلا اعتنق هذا الدين، ولتوقفت الحروب المفتعلة التي يحمل وزرها هؤلاء المعوقون.

٤- تقول المستشرقة الإيطالية لورا فاغاليري: "إن كانوا يقصدون أن محمدا –على خلاف مؤسسي الأديان الأخرى– قد امتشق حسامه، ونظم حملات عسكرية متطلعا إلى نجاحات وفتوح ... نقول: إن هذا صحيح. ولكن يتعين علينا أن نبحث بالعقل المنفتح نفسه عن السبب الذي قضى بهذا. أما إن زعموا أن الحرب التدميرية كانت السبيل الضروري لفرض العقيدة ... فعندئذ نرفض الاتهام؛ لأن في استطاعتنا أن نقيم الدليل – استنادا إلى القرآن والنبي نفسه– على أن ذلك بهتان كامل" (٤٢). ثم أكملت فبينت أن هذه الحرب كانت دفاعا عن الدين الجديد ضد الذين عارضوه بالقوة، وحاولوا تدميره، وأن النبي "كان عليه أن يختار بين أن يموت على نحو مُذِلٍّ وبين القتال لإنقاذ نفسه وجماعته الصغيرة من الهلاك. فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان. أو قل: قتال الرجل الذي لا يرغب في الحرب لكنه مكره على منازلة الذين أصروا على تدميره بالقوة" (٤٣).

٥- في تاريخ المسلمين ما يثبت خلاف ما زعمه المستشرقون؛ فحين دخل المقاتلون دمشق من ناحيتين: شمالها وجنوبها وإحداهما عنوة والأخرى كانت صلحا، واستشاروا عمر بن الخطاب، قال: اجعلوها صلحا. وحين دخل المسلمون أرمينية دون إعلام أهلها حكم القاضي بأن يخرجوا مرة أخرى. فلما رأى أهل البلدة سماحة الإسلام دخلوا فيه. وهناك مئات بل آلاف القصص التي تؤيد هذا المعنى.

٦- توصيات النبي لجيش المسلمين ألا يقطعوا شجرة، ولا يقتلوا شيخا، ولا طفلا، ولا امرأة، ولا يجهزوا على جريح، وألا يقربوا الرهبان. أدينٌ يأمر بهذه القيم يُتهم بأنه قد انتشر

---

(٤٢) صورة نبي الإسلام محمد ونبوته في مرآة الخطاب الاستشراقي، محمد العربي بو عزيزي، ٢١٣، مرجع سابق.
(٤٣) السابق.

بالسيف؟ وأين ما فعله أتباع الدين المسيحي الصحيح -على حد زعمهم- في القدس يوم دخلوها؟ وما فعلوه في أفغانستان والعراق؟ الأولى أن يستحوا حين يتكلمون عن العنف والإرهاب ولا يكون شعارهم: رمتني بدائها وانسلت.

ومن صور طعنهم في رسالة الرسول -(ﷺ)- **إنكارهم المعجزات** بحجج منها: الشك فيها أحيانا، ورفضها أحيانا أخرى، والزعم بأنها من زيادات التابعين؛ لإسباغ العظمة والمكانة العالية على الرسول الكريم، كمكانة الكهنة والعرافين في الجاهلية، ويلحقها المستشرق كارادافو بالأساطير والخرافات [٤٤]. ويذكر توري أندريه أن بعض المعجزات استغلها النبي لتثبيت مكانته وتقوية سلطته [٤٥]، واستدل بحادثتين هما: حفنة التراب التي رماها النبي في وجوه المشركين في غزوة بدر، والثانية حادثة الإسراء والمعراج، وعلى الرغم من أنه باحث منصف -إلى حد كبير- إلا أنه جعل هاتين الحادثتين حظا نفسيا للرسول؛ لتقوية سلطته بين أصحابه -وحاشاه-.

لقد أنكر المستشرقون حادثة شق الصدر، والإسراء والمعراج، والبراق، وتكثير الطعام، وانشقاق القمر، وغيرها من المعجزات الحسية التي أيَّد الله بها رسوله؛ ليؤمن به قومه. حتى أن بعض المعتدلين مثل دينيه وبودلي وكارليل يجعلون القرآن معجزة النبي الوحيدة، ويهملون سائر المعجزات. ولعل سبب رفضهم لهذه المعجزات أنهم ماديون لا يؤمنون بالماورائيات، وينكرون الميتافيزيقا، وليس هذا منهاجا صحيحا؛ فإن الله رب الأسباب، وهو الذي رتب الأسباب بالصورة التي هي عليها، وحين يخرق الأسباب لتأييد رسول من رسله فليس هذا بمستغرب، ثم أليس من هؤلاء من يؤمن بموسى؟ فلماذا يثبتون له المعجزات وينكرونها من محمد؟ نحن لا نناقش الملحدين فهم لا يؤمنون إلا بالمشاهد المرئي، وهذا عين الجهل منهم؛ حيث إن العقل غير مرئي فلو لم يؤمنوا إلا بالمشاهد فهذا دليل على أنهم ليس لديهم عقول.

نحن نناقش المؤمنين منهم كما قال مونتجمري: إنه مؤمن وليس ملحدا. فإذا كان مؤمنا بمعجزات موسى التي وردت في العهد القديم فلماذا ينكرها المستشرقون من محمد؟ هذه سياسة التشكيك في كل شيء يخص الإسلام حتى لا تكون هناك ثوابت يقف الناس عندها. على أن هذه المعجزات ثابتة بشهادة من عاصروها، ومن نقلوها، والأحاديث الصحيحة نقلت لنا هذه المعجزات بما لا يدع مجالا للشك، ولا فرصة للارتياب. على أن بعض هذه المعجزات قد بقي منها آثار شهد بها العلم الحديث؛ حيث توصل العلماء إلى أن القمر فيه مكان بها لحام، يوحي بأنه ربما كان قد انشق، والقرآن الكريم الذي يسلِّم كثير من المستشرقين أنه من عند الله، ومؤيد

---

(٤٤) دائرة المعارف، مادة براق، ٣/ ٤٨٥.

(٤٥) شخصية الرسول -(ﷺ)- في كتاب محمد: حياته وعقيدته للمستشرق السويدي توري أندريه، عبد الحق التركماني، ٢٧٦٦-٢٧٦٧، الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي: نبي الرحمة محمد (ﷺ)، الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، ٢٠١٠م.

لمحمد فيما يدعو إليه يذكر هذه الحادثة، ويثبتها وبالتالي ينتفي الشك والريب، وإذا كان المعتدلون منهم يستدلون على نبوة الرسول بالمعجزة الوحيدة –حسب زعمهم– وهي القرآن المعجزة الفكرية الخالدة [٤٦] –على حد تعبير كارليل– فإن القرآن هو الذي أخبر عن معجزة انشقاق القمر، فهل يؤمن بها ويسلم بوقوعها؟

من صور الطعن في رسالة الرسول –(ﷺ)– **أن دعوته مقصورة على العرب، وليس لها سمة العالمية** وهي فرية رددها المستشرقون، وفرعوا عليها كلاما، وقد لخص محمد مسعود أحمد هذه الشبهة في أربع نقاط هي:

١- أن المستشرقين يدَّعون أن الإسلام يخص شبه الجزيرة العربية، وأن خبر السفارات والرسائل النبوية يخرج بهذا الدين من نطاق المحلية إلى النطاق العالمي.
٢- يدَّعون أن النبي في حالة ضعف سياسي وعسكري لا يمكنه معه تحدي العالم بالسفارات والرسائل.
٣- يدَّعون أن ابن إسحاق لم يذكر قصة الرسائل النبوية فالتوثيق التاريخي لها ضعيف.
٤- اشتمال بعض الرسائل على آية قرآنية قيل: إن نزولها قد تأخر عن تاريخ إرسال تلك الرسائل بنحو عامين.

إنهم يستدلون على هذه الشبهة بآية تفيد أن النبي مرسل للعرب وهي قوله تعالى: ﴿**لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾، وللآية تأويلات مقنعة ذكرها المفسرون لكننا لن نتوقف عندها، وإنما سنسأل المستدلين بها: وماذا تقولون في الآيات التي وردت صريحة في سور مكية تفيد عالمية الرسالة كقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ وقوله: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ وغيرها من الآيات؟

والضعف الذي يتكلمون عنه نقول لهم: إن الرسائل ليست استعداء، وليست إعلانا للحرب وإنما هي إعلام ودعوة وتبشير بالدين الخاتم. والذين ذكروا أن ابن إسحاق لم يذكر القصة فهؤلاء مخطئون فقد ذكرها ابن إسحاق في سيرته، وذكرها ابن هشام في سيرته فهذا تدليس. وعلى فرض أن ابن إسحاق لم يذكر القصة فهل معنى ذلك إنكارها؟ وهل أحاط ابن إسحاق بكل السيرة؟ وذكر كافة القصص التي حدثت في عهد رسول الله؟ إنه كاتب من كتاب السيرة وقد يغيب عنه حدث أو عدة أحداث، وإنما تؤخذ السيرة من مجموع الرواة والكتَّاب ما دام سندها صحيحا ولها ما يؤيدها. وأما الزعم بأن هناك آية لم تنزل إلا بعد سنتين من تاريخ السفارات وهي قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...**﴾ فقد ذكر ابن كثير وغيره

(٤٦) الرسول -(ﷺ) في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ١١٨، مرجع سابق.

أن الآية قد تنزل مرتين لظروف تقتضيها الرسالة الإسلامية ودواعيها، وكذا ذكر القرطبي أيضا، وتعدد النزول وارد كثيرا في القرآن.

وبهذا يثبت أن رسالة النبي عامة للناس أجمعين، وأن ما قاله مرجليوث من أن "النبي لم يوجه أي كتاب للملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية" هذا محض افتراء، ويكمل فيقول: "ودليلنا على أننا لم نعثر على أثر لهذه الكتب في تاريخ هؤلاء الملوك والأمراء" (٤٧). كما يشير المستشرق "هوبرت جرم" إلى أن "الفكرة لم تأت إلا في الأحاديث التي ظهرت في القرن الأول للهجرة بعد أن انتشر الإسلام في كل الشرق؛ حيث طرأ في فكر المسلمين أن محمدا بعث لهداية الناس جميعا" وهو يشير -كما يزعم كثير من المستشرقين- إلى أن المتأخرين من التابعين في عهد الدولة الأموية هم الذين اختلقوا الأحاديث، ونحلوها للرسول الكريم.

والرد على هؤلاء سيكون من بني جنسهم من بعض المعتدلين الذين يثبتون أن الرسول قد أرسل رسائل للأمراء والرؤساء -حسب ما كتب محمد مسعود أحمد- فقد أكد بيوري -وهو ممن كتب في تاريخ الروم، وكتب أيضا كتابا عن: انهيار الدولة الرومانية وسقوطها-وجود رسائل إلى ملك الروم، واستند إلى مصادر يونانية متعددة (٤٨). وكذلك أكد "دي لاسي أوليري" في حديثه عن بلاد الحبشة "أن هناك شخصيتين متميزتين للنجاشي: الأول: هو الذي هاجر إليه المسلمون من مكة سنة خمس من البعثة. والثانية النجاشي الذي كتب له النبي كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام". وكذلك أكد "د. ألفرد. ح بتلر" في كتابه: فتح العرب لمصر أن "النبي أرسل كتابا إليهم في سنة ٦٢٧م وختمه بخاتمه، وكان نقش خاتمه (محمد رسول الله).

فهل بعد هذه الشهادات التي شهدها هؤلاء يصح أن نركن إلى رأي مرجليوث ونحن نعلم أنه حاقد على الإسلام حقدا شديدا، ويريد هدم ثوابت هذا الدين، وتغيير حقائقه. والغريب في كتابات المستشرقين أنهم يقعون في التناقض كثيرا فيثبتون شيئا، وينفونه بعد صفحة أو صفحتين من كتبهم التي كتبوها، والعكس يحدث أيضا فينفون الشيء ويعودون إلى إثباته، وتلك سمة واضحة في كتبهم، وما ذاك إلا لأنهم لا يؤمنون بهذا الدين، ويريدون تفسير كل ما حدث في الزمن الماضي تفسيرا عقليا ماديا لا يخلو من التعسف والتناقض في كثير من الأحوال، وسنعود لهذه الفكرة بعد قليل.

وأختم هذا المبحث بالحديث عن فكرتين تمتاز بهما كتابات المستشرقين عن الإسلام: الأولى: أن كثيرا من كتَّابهم **يطلقون العنان لخيالهم** فيصورون الأحداث كما لو كنا في فيلم سينمائي من أفلام الخيال العلمي، أو الرومانسية الحالمة التي لا تراعي الواقع، وإنما تحلق في الفضاء بعيدا، ومن يقرأ كلامهم يجد نفسه في ذهول من الأحداث كأنه يقرأ في أحداث "ألف ليلة

(٤٧) السفارات النبوية، اللواء الركن محمود شيت خطاب، ص ٤٥٤، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩م.
(٤٨) السابق، ٤٧٢.

وليلة". وقد نقل الدكتور نذير حمدان جانبا من هذه الأمور؛ ففي الحديث عن عبادة النبي – (ﷺ)– يذكر "درمنجم" أن الرسول قبل بعثته قرب للعزى شاة بيضاء (٤٩). وهذا كلام لا أساس له من الصحة، فقد ذكر ابن هشام في السيرة أن الله كان يكلؤه من أقذار الجاهلية. كما يذكر "درمنجم" أيضا أن النبي كان له دكان في مكة استمر معه حينا من الزمن (٥٠). وهذا كلام من مطلق الخيال والتخريف. فلم يكن له دكان، ولا شيء من هذا الكلام ثابت. وإنما عمل قبل البعثة برعي الغنم والتجارة.

ومن طريف الخيال الجامح ما ذكره "واشنطن إرفنج" من "أن أكثر من مئتي فتاة من فتيات مكة انتحرن عندما تزوج عبد الله والد محمد من آمنة بنت وهب؛ لأنهم كن يردن الزواج منه" (٥١). قلت: سبحان الله هل كانت النساء تعرف الانتحار قديما؟ وعلى أي مصدر اعتمد الكاتب؟ أليس هذا من تأثيرات هوليود أو القراءة في أحداث ألف ليلة وليلة؟ ويبدو أن الغربيين في كتابتهم عن التاريخ الإسلامي يعتمدون على الإغراب والعجائبية بقصد إضحاك مجتمعاتهم على ما يجدونه في تراث المسلمين.

ومن خيالاتهم الواسعة قول درمنجم في وصف منبر الرسول الكريم: "فصار يقف عند الوعظ على واحدة من درج هذا الموطئ الذي كان كرسيًّا ومنبرًا وعرشًا في آن واحد حاملا بيده حربة صغيرة أو عصًا مرصعة بالذهب والعاج، فيرسم بها بعض نقاط خطبته، وكان بلال الحبشي ... يقف في أسفل المنبر حاملا سيفًا بسيطًا ذا مقبض فضي" أرأيت كيف يجمح الخيال بهؤلاء المستشرقين؟ فهل كان النبي يتخذ كرسيا أو عرشا كعروش الملوك، وهو الذي كان لا يعرف في وسط أصحابه لتواضعه، وهل كانت له عصا من ذهب؟ ولحارسه سيف بمقبض من فضة.

ويبدو أن إرفنج أقام كتبه على الخيال الذي يحلق بعيدا فهو يقول عند حدث الهجرة، وكيف خرج النبي من بيته والمشركون محيطون به: "هناك رواية محتملة الحدوث تقول: إن محمدًا قفز من فوق حائط خلفي للبيت، وساعده خادمه على النزول؛ بأن أحنى له ظهره فاتخذه سلمًا، واستطاع محمد النزول ومغادرة البيت (٥٢). ويقول "درمنجم" في غزوة حنين: "بعد نهاية قتال المسلمين في حنين انتهى المساء بعربدة وانقضاض على الأسيرات" وأكتفي بهذا القدر للتدليل على الفكرة الأولى وهي إطلاق العنان للخيال المحلق بعيدا عن الأدلة والبراهين.

---

(٤٩) كتاب درمنجم، ص ٧٥. نقلا عن: الرسول -(ﷺ) - في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ١٣٥.
(٥٠) كتاب درمنجم، ٦١. نقلا عن: الرسول -(ﷺ) - في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ١٣٥.
(٥١) محمد -(ﷺ)- وخلفاؤه، واشنطن إرفنج، ترجمة: هاني يحيى نصري، ص ٢٦، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
(٥٢) السابق، ١١٨.

الفكرة الثانية: **مدى التناقض في كتابات المستشرقين** حيث يثبت أحدهم الشيء وينفيه، أو ينفيه ثم يعود ويثبته: وقد أشار إلى هذه الفكرة الدكتور مصطفى السباعي في كتابه السنة ومكانتها في التشريع، والدكتور عبد الحليم محمود في كتابه: أوروبا والإسلام. والشيخ محمد الغزالي في كتابه: دفاع عن العقيدة والشريعة وغيرهم. وقد نقل الدكتور نذير حمدان أمثلة للتناقض في آراء المستشرقين مع أنفسهم واستشهد بمرجليوث ففي الوقت الذي يتشكك فيه في اسم الرسول ونسبه يذكر في الصفحة التالية أنه ابن عم علي بن أبي طالب. كم مثل أيضا بإرنست رينان الذي اشتُهر بمقاومته الإسلام والنصرانية معًا، وقد كان رأيه في النبي متعصبًا حيث وصفه بالخداع والدجل، وعاد ووصفه بالإصلاح والصدق حتى قال بيكافيه أكبر الباحثين في آثاره: إنه رجل يقلب أوضاع الأشياء والمسائل؛ وذلك لاختمار النزعة الصليبية في عقله الباطن. وقال مؤرخوه: إنه أفسد الاستشراق الفرنسي بهذه الآراء [٥٣].

المبحث الثالث: وسائل عديدة للدفاع عن رسول الإسلام

من خلال المبحثين السابقين يتبين أن عداوة أوروبا والغرب للإسلام، ورسول الإسلام متجذرة منذ القروسطية، وأن هناك صورة سلبية عششت في الأذهان، وقد زاد الطين بلة، والداء علة دراساتُ المستشرقين حول الإسلام، ونبي الإسلام، ومن هنا لا نلوم على شعب الكنيسة من العوام أن يصدر منهم ما يسيء للإسلام والمسلمين، فما ذلك إلا ثمرة مُرَّة غرستها الذهنية الغربية –وعلى رأسهم المثقفون والدارسون– وما كان لأمة تؤمن بربها، وتحب نبيها أكثر من حب كل مسلم لنفسه أن تغض العين عن تلك الإساءة، أو يهدأ لها بال حتى ترد على العنصرية الغربية، التي لا تعرف من الإسلام إلا كل قبيح، ولا ترى المسلمين إلا قوما من الرعاع المتوحشين الذي لا يفكرون إلا في النهب، والشهوة، والإفساد في الأرض، وقد امتدت اليد الآثمة إلى تشويه صورة الرسول الكريم –(ﷺ)– وهنا وجب التحرك، والعمل المضني لرد هذا الكيد.

وإن العمل على تغيير الصورة النمطية التي رسخت في الذهنية الغربية لن يكون عملا في مجال واحد، وإنما لابد أن يشمل مجالات متعددة: إعلامية وثقافية واقتصادية وسياسية ودعوية. ولعلنا نوصي بوصايا تفتح بابًا أمام من يريد أن ينصر رسوله حتى نكون قد أسهمنا في حل هذه المشكلة الحضارية التي تعقِّد العلاقة بين الشرق والغرب، أو قل –على وجه الدقة– بين المسلمين والغرب. وإننا إذ نتقدم بهذه المقترحات لنرجو أن تأخذ حيز التنفيذ فننال أجر الدلالة على الخير، وينال المنفذون ثواب نصرة الإسلام، ورسول الإسلام، ولن تكون هذه المقترحات كلامًا خطابيًّا، أو انفعالا عاطفيًّا يخفت بمرور الوقت، وانقضاء الحدث –ولو كانت كذلك فلا

---

(٥٣) الرسول -(ﷺ)- في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، ١٥٧- ١٥٨.

حرج فكل امرئ يجب أن يغضب لدينه ونبيه- لكنها مقترحات عملية، نتصور أن الأمة لو أخذت بها ستعود إلى سابق مجدها، حيث ثبت أن شعوب العالم لا تخشى إلا القوي، ولا تعتدي على حق اليقظ الحازم، ولا أدل على ذلك من أن أحدًا لا يجرؤ أن ينكر الهولوكوست، أو يتكلم في حق اليهود وإلا صار مجرمًا معاديًا للسامية، ولسنا أقل مكانًا، ولا مكانة من اليهود.

من هنا نقدم هذه المقترحات، ونرجو أن تأخذها أمتنا على محمل الجد، كل فيما يقدر عليه، ويقع في مجال اختصاصه لعل الله يصلح حالنا، ويبدل ما نحن فيه، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فلعلها صيحة نذير، وصرخة محذر؛ لتفيق أمتنا بعد سبات طال أمده، واعتدى على حقوقنا القوي والضعيف، وأكل الطير طعامنا، وصارت دماء المسلمين لا قيمة لها؛ فحيثما وضعت يدك على مكان في خريطة الأرض وجدت دمًا مسلمًا مسالا، لا معتصم يثأر، ولا صلاح الدين يحرر أرضه، ولا قطز يصرخ في أمته وإسلاماه فتجتمع له الجيوش التي يرد بها هجمة التتار البربرية.

أولا: **مقترحات إعلامية:**

١- إنشاء قنوات فضائية للتعريف بالإسلام ورسول الإسلام: ثابت أن العصر الذي نعيشه عصر السماوات المفتوحة، وأن خلقًا كثيرين استغلوا هذا الانفتاح في ترويج ما يؤمنون به من أفكار، أو تجارة، أو تبشير، أو ثقافة، أو ترفيه، أو غير ذلك. ولسنا -نحن المسلمين- أقل إيمانًا بقضيتنا ممن ينشرون العري والفجور، أو يروجون للرذيلة، أو حتى لتجارتهم، فليتقدم الموسرون لعمل قنوات فضائية يختار لها أشخاص مؤثرون يتقنون لغة الغربيين، ممن يعيش بينهم، أو يعيش بيننا، ويتقن ثقافة الآخر، تتبنى هذه القنوات خطابًا معتدلا، وتقدم برامج مشوقة، تنشر روح التسامح، وتعمل على جذب المشاهدين من خلال تنوع البرامج وقوتها، وتهديف رسالتها لهذا الغرض وهو شرح وسطية الإسلام، ومكانة نبي الله فينا، ومدى توافق تعاليم الإسلام مع الفطرة البشرية.

٢- حث المبرمجين العرب على اختراع برامج للأطفال باللغات الغربية: فنحن -شئنا أم أبينا- نعيش عصرًا قد شغلت الأطفال فيه بالألعاب المشوقة، التي تحتاج إلى وقت طويل أمامها، وقد رأينا كيف يسخر المبرمجون الغربيون هذه الألعاب بطريقة تنشر فكرهم، فقد يأتي في اللعبة باب مغلق لا يفتح إلا بأن يرسم اللاعب صليبًا، أو يؤشر على الصليب، أو نحو ذلك. ومن هنا لابد أن نبرمج ألعابًا فيها بعض القيم العامة التي لابد أن تكون مشوقة، ونشير إلى شخصيات إسلامية، وتكون مفتاحًا للعبة حتى يتربى الجيل الجديد من الأطفال على روح التسامح.

٣- أن تتبنى المنظمات الإسلامية إنشاء مواقع إلكترونية بلغات الآخر، تشرح الإسلام بطريقة جذابة، وتمثل مشاهد مرئية فيها قيم الإسلام، وإعلانات إسلامية، وكل ذلك

بطريقة تناسب روح العصر، وتطور التكنولوجيا، لتكون مشجعة على رؤية قيم الإسلام وأخلاقه، فتؤثر في الآخرين.

٤- تبني المنتجين المسلمين إنتاج أفلام إسلامية ومسلسلات عن قيم الإسلام وروحه، وتصحح فيها مفاهيم مغلوطة عن الرسول محمد وأصحابه، وعن طبيعة هذا الدين، ومدى تسامحه ورحمته مع غير المسلمين؛ حتى تزيل روح التعصب من الآخر.

٥- أن تتبنى الدول الإسلامية عمل مواقع رسمية بحثية ودعوية بطريقة عصرية تشرح فيها الإسلام وتقدم شخصيات لها قبول مجتمعي لدى الغربيين كالعلماء الذي أحرزوا جوائز عالمية؛ ليُقدَّموا في برامج تعكس مدى تأثر هذا العالم بدينه، وأخلاقه، وأسباب حصوله على هذه الجوائز على أن يشير إلى أن التزامه الديني والخلقي سبب من أسباب حصوله على الجائزة.

٦- عمل مراصد بحثية من خلال الدول الإسلامية ترصد ما يقال عن الإسلام على غرار متابعات الدول لإعلام الدول الأخرى للرد على الإساءة، وتفنيد الأكاذيب، والاتصال بالجهات التي تتبنى الخطاب التحريضي، والضغط بشتى السبل لمنع العنصرية الغربية، والخطاب المتحامل ضد الإسلام، ورسول الإسلام.

٧- شراء بعض القنوات الفضائية، فإن لم يمكن فاستئجار وقت في بعض القنوات المعتدلة التي تتسم بالموضوعية، لتقدم صورة مضيئة عن الإسلام من خلال مذيعين متميزين ذوي كفاءة عالية في العرض والتقديم، كما يحسن أن تقدم فيها نماذج راقية ترسم صورة لديننا، ونبينا، وأخلاقنا، وقيمنا، ومبادئنا الإسلامية الصحيحة.

ثانيا: **مقترحات علمية وثقافية:**

١- فتح أقسام إسلامية بلغات أوروبية في الجامعات العربية: لا شك أن الجامعات هي التي توجه حركة الثقافة والتعليم في أي بلد، وحين تحمل الجامعات همَّ نشر هذا الدين، وتصحيح الأخطاء التي تلتصق به من خصومه، فإنها ستفكر في تصحيح هذه الأفكار المغلوطة، والكتابات المؤدلجة، ومن الواجب عليها أن تفتح أقسامًا توجه همها إلى نشر الإسلام بلغات مختلفة، وخطاب العلماء يخالف خطاب العوام، فإن له أثرا كبيرا في نشر الوعي المجتمعي في الطبقة المثقفة من البلدان التي توجه إليها الرسالة والخطاب، وهذا يعطي صورة مخالفة لما رسخ في الأذهان الغربية عن الإسلام وأهله [٥٤].

---

(٥٤) ذكر بعض هذه المقترحات: محمد مختار المفتي في بحثه: الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الإيطاليين في الكتابة عن الرسول -(ﷺ)- والسيرة النبوية: المستشرقة الإيطالية ريتا دي ميليو نموذجا، ص ١٠٠، المجلد ٥٤، العدد ٨، مجلة هدى الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الأردن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢- تخصيص جائزة سنوية للمنصفين من كل دولة أو لغة غير عربية، تمنح للعلماء من الغربيين الذين يتحلون بروح التسامح والإنصاف، وتغطية الحدث إعلاميًّا بصورة ترغِّب غيرهم في الحصول على الجائزة. كما يمكن إضافة قسم من أقسام الجوائز الموجودة بالفعل –كجائزة الملك فيصل وغيرها– للمنصفين من المفكرين الغربيين.

٣- استضافة المنصفين في الفعاليات الثقافية كمعارض الكتب، والنوادي الأدبية، والندوات العلمية والثقافية، والمحاضرة في داخل الجامعات والمراكز الثقافية.

٤- تشجيع المنصفين بترجمة كتبهم إلى العربية، وكتابة المقالات عنهم، ونشر إنتاجهم بين الناس، كما يفضَّل إهداء أعمالهم المنصفة إلى المراكز البحثية الغربية.

٥- دعوة هؤلاء المنصفين إلى عمل أبحاث مشتركة، وتمويل هذه الأبحاث حتى يتشجع هؤلاء المنصفون، وينشطوا فيكتبوا بلغة قومهم؛ فينتشر إنتاجهم العلمي في بلادهم.

٦- يحسن استقدام هؤلاء المنصفين إلى الجامعات العربية، ومراكز الأبحاث، وإشراكهم في التخطيط للعمل المثمر في الغرب، كما يحسن أن يطلب منهم أن يكتبوا عن مفاتيح التأثير في المجتمع الغربي، ويمكن إشراكهم في كتابة حول استشراف مستقبل الأمة الإسلامية في بلادها وفي بلدانهم، وفي الغرب عموما.

٧- الإنفاق على مراكز الأبحاث الإسلامية في الغرب، ومراكز تعليم اللغة العربية، وعمل مسابقات علمية في هذه المراكز لغير العرب للكتابة الموضوعية حول قضايا الأمة الإسلامية.

ثالثا: **مقترحات اقتصادية:**

١- المقاطعة الاقتصادية لكل دولة ومنظمة وهيئة تسيء إلى الإسلام، أو إلى الرسول –(ﷺ)– أو المسلمين عموما، أو تظهر العنصرية والتنمر ضد المسلمين المقيمين هناك بصورة شرعية، ذلك أن المقاطعة سلاح فتاك، والغرب المادي لا يعرف سوى الضغط المادي، والتعامل بالاقتصاد، فلو تآزرت الدول الإسلامية كلها وقاطعت من يسيء إلى الإسلام فلن يحدث ذلك مرة أخرى.

٢- تمويل الدول الإسلامية للشركات التي يملكها مسلمون حتى تكبر، وتؤثر في الاقتصاد المحلي، وهذا ما عمل عليه اليهود في البلاد التي قطنوها؛ حيث عملوا على التجارة في الذهب، والسلاح، ودعموا كياناتهم حتى شكلت ما يسمى باللوبي اليهودي الذي لا يستطيع أي رئيس أمريكي، أو مسؤول أن يتخذ قرارا يضر بمصلحة اليهود في أية دولة من دول العالم.

٣- التمويل من الدول الإسلامية أو الاكتتاب بين المسلمين لأعمال الجاليات المسلمة في الدول الأوروبية؛ لتوسع نشاطها، وتنشر الفكر المعتدل السليم عن الإسلام ببرامج عملية

تناسب بيئة الأوروبيين؛ فيرتبطوا بالجاليات، ويعملوا معهم، وقد يكون ذلك سببًا في إسلام كثير منهم.

٤- الدعم المادي لكل مؤسسة تنصف الإسلام، وتحترم مبادئه وقيمه، سواء بالدعاية لها، أو تكثيف التعامل معها، أو شراء منتجاتها، أو دعوة أصحابها وإعطائهم ميزات في مؤسسات إسلامية ومراكز دعوية، أو تكريمهم ورفع مكانتهم في أوساط الجالية فإن ذلك ينعكس على زيادة الإنصاف، وبث روح التفاهم والتقارب بين الجاليات والمنصفين.

٥- زيادة الإنفاق على تعليم اللغة العربية، وفتح مجالات لمن يتعلم اللغة أن تصبح له وظيفة في المراكز الإسلامية، أو الشركات التي يملكها مسلمون أو الكيانات الدعوية في الغرب فإن ذلك يشجع على الاحتكاك المباشر مع المسلمين فتتغير الصورة الذهنية عنهم.

٦- دعم المؤسسات التجارية الإسلامية لتقيم معارض تخفيضات تفوق قليلا أو كثيرا المؤسسات الأخرى فيكون ذلك بابًا لبدء دعوة إلى الإسلام، وسماحة الإسلام ومجالا لتحسين صورة المسلمين لدى الآخرين من الغربيين.

رابعا: **مقترحات سياسية:**

وهذه لابد أن تتدخل الدول والحكومات لإنجاحها، وذلك من خلال:

١- الإنكار من الحكومات على من يسيء للإسلام والمسلمين، والتهديد بعقوبات اقتصادية على الدول التي تسمح للأفراد بالإساءة بحجة الحرية الإعلامية، مع بيان أن الحرية الشخصية أو الإعلامية تتوقف عند حدود إيذاء الآخرين سواء في أنفسهم، أو في دينهم، ونبيهم، ورموزهم.

٢- تسخير أجهزة الدولة للدفاع عن الدين والرسول سواء بالحديث المتلفز، أو إقامة بعض الفعاليات التي تعطي صورة للغرب عن أهمية الدين للحكومة كما للأشخاص، وأن الحكومة تتبنى آراء مواطنيها.

٣- استغلال المنابر الإعلامية الرسمية، والاجتماعات الدولية لبيان قدر نبينا، واحترام شعائر ديننا حتى لا يخوض في الإساءة الآخرون.

٤- تمويل بعض المشاريع التي تخدم الدين في الغرب وفي الشرق، وتظهر حرص الدول الإسلامية حكومة وشعوبًا على دينها ونبيها.

خامسا: **اقتراحات قانونية:**

هناك هامش من الحرية كبير في الغرب يمكن العمل عليه واستغلاله لخدمة الدين وقضايا المسلمين ومن ذلك:

١- إقامة دعاوى قضائية على من يسيئون للإسلام والمسلمين، والسير في الجوانب القانونية مع استئجار محامين كبارًا لكي يترافعوا في هذه القضايا مع دفع التكاليف التي قد تكون باهظة لكن ربما يحصل منها أفراد الجالية على حكم يؤدب كل من تحدثه نفسه بالإساءة إلى الدين والرسول الكريم.

٢- استغلال مواقع التواصل في الرد على المسيئين إلى ديننا بالرد العقلاني المهذب المتحلي بأخلاق ديننا دون انفعال، أو سب أو غير ذلك، مع توصية عدد كبير من المسلمين بالرد وتفنيد الشبهات التي يثيرها هذا الشخص، أو المؤسسة لعلها تراجع نفسها، أو تحترم قيم الآخرين عملا بفكرة اللوبي حيث تتحرك الكتلة الصماء التي تؤمن بالدين الإسلامي كلها في اتجاه واحد رافض لهذه التصرفات مما ينتج عنه الضغط على المؤسسة أو الشخص لتغيير رأيه، أو تعديل سلوكه.

٣- التواصل مع المشرعين في البرلمان وشرح عدالة قضية إدانة السب للأديان، أو الإساءة للرموز الدينية، ودعوتهم إلى استصدار قانون يجرم هذه الإساءة.

سادسا: **مقترحات دعوية:**

١- أن يكون المسلم قدوة في المكان الذي يحِلُّ فيه، فيكون داعية إلى دينه بسلوكه، وأشد ما يجعل الآخرين يتأثرون القدوة، فليكن المسلم قدوة في عمله، وشارعه، وبيته، وجميع مناشط حياته.

٢- أن يقوم المتخصصون بعمل مقاطع دعوية تظهر سماحة الإسلام، وأخلاق رسول الله ثم يترجموا هذه المقاطع في فيديوهات قصيرة ينشرونها في البلدان التي يعرفون لغتها لعلها تكون سببًا في إسلام بعض الناس، أو في تعديل الصورة الذهنية لدى بعضهم.

٣- استعمال أسلوب التهادي بين أفراد الجاليات الإسلامية وبعض رواد الفكر، والمؤثرين جماهيريًّا في المجتمعات التي يعيشون فيها، لما في ذلك من أثر كبير في اعتدال خطابهم، وتأثيرهم في جماهيرهم.

٤- الترويج للقدوات من المسلمين المتميزين في أي مجال من المجالات، فالمتميزون مؤثرون في الناس عمومًا، وبالاقتراب منهم تزداد المعرفة بهم، وقد يؤثر ذلك في التواصل معهم، أو تعديل الفكرة الخاطئة عن الدين الإسلامي.

٥- استضافة الشخصيات الإسلامية الكبيرة في المراكز الإسلامية في الغرب، ودعوة غير المسلمين للالتقاء بهم، كمحمد صلاح، وماني في مجال الرياضة، وعصام حجي في المجال العلمي وغير ذلك من الشخصيات المؤثرة.

وإنا لنرجو أن يتم الحوار الحضاري مع الغربيين بدلا من الصراع الحضاري، فما كان ديننا داعيًا إلى عنف، ولا إرهاب، ولا وحشية، ولا تفجير، ولا أي شيء من الأخلاق التي يَصِمُنَا

بها الأوروبيون، وإنما ديننا دين التسامح، والحب، والرحمة، والخلق القويم. ونسأل الله أن يرد المسلمين جميعًا إلى دينهم، وأن يرد عنهم كيد الكائدين، وعدوان المعتدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

شهدت الأيام الأخيرة هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين في أوروبا، حيث تبنت فرنسا خطابا تحريضيا ضد الإسلام، ورسول الإسلام، وضد المسلمين المقيمين على أرضها. مما نتج عنه تعاطف بلدان أخرى مع فرنسا بدافع كراهية الإسلام، وما رسخ في أذهان الغربيين من صورة مشوهة عن الدين الإسلامي عاشت منذ العصور الوسطى وتلقاها جيل عن جيل، ولاحق عن سابق. وقد أسهم المستشرقون في إذكاء نار الصراع بين الحضارة الغربية وديننا الإسلامي من خلال من كتبوه من بحوث موجهة سلبيا ضد ديننا ونبينا، وما رسخوه في أذهان العامة من قراءات مؤدلجة عايشت كتبنا الإسلامية، وبحثت فيها عن مواطن يمكن الطعن في الدين من خلالها، ذلك أن معظم المستشرقين هم في الأصل قساوسة يريدون إظهار الدين –كذبا وزورا– بأنه دين وحشية وتطرف حتى ينفروا شعب الكنيسة عنه.

ومع تفجر الصراع بين الغرب والإسلام، واشتعال نار الفتنة التي تولى كِبرها الرئيس الفرنسي ماكرون حين صرح بأن الإسلام في أزمة، وقام على إثر ذلك بعض المعلمين بعرض صور مسيئة للرسول على طلابه ما دفع شابا مسلما إلى ذبح هذا المعلم، ثم حديث متطرف من الرئيس الفرنسي مرة أخرى يدعم فيه هذه الرسوم، ثم حدثت أحداث أخرى زادت التوتر بين فرنسا والمسلمين وقد انطلقت حملة مقاطعة للبضائع الفرنسية دفعت الرئيس الفرنسي إلى التراجع ومحاولة تبرير ما حدث لكن ظلت الحملة مستمرة، ولعلها تزيد يوما بعض يوم. وما كان لنا – نحن الباحثين– أن نتخلف عن ركب أمتنا التي هبت لنصرة نبيها، فكان هذا البحث الذي يتكون من تمهيد وثلاثة مباحث: تحدثنا في التمهيد عن بعض المقدمات التأسيسية التي سيبنى عليه البحث. وفي المبحث الأول تناولنا مطاعن المستشرقين وشبهاتهم في شخص رسول الله –(ﷺ)–. وفي المبحث الثاني تحدثنا عن المطاعن والشبهات التي أطلقها المستشرقون في رسالة الرسول ونبوته. وقدمنا في المبحث الثالث عدة مقترحات لنصرة ديننا ونبينا –(ﷺ)–، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج نذكر منها بعض النتائج العامة، تاركين النتائج الجزئية إلى من يتصفح البحث، ويتجشم عناء قراءته، ومن النتائج العامة:

١- أن صورة الإسلام ونبي الإسلام سيئة في الذهنية الغربية منذ القرون الوسطى أو كما يسميها البعض القروسطية.

٢- أن الغرب يجعل العلاقة بينه وبين الإسلام علاقة صراع حضاري في الوقت الذي يريدها المسلمون علاقة حوار حضاري.

٣- الغرب لا يريد الاعتراف بفضل المسلمين في بناء الحضارة الغربية، ويريد أن يمحو كل أثر للمسلمين في تاريخ العلم وقصة الحضارة.

٤- الشعور بعقدة النقص لدى الغربيين تجاه المسلمين يجعلهم يحتقرون المسلمين، ولا يناصرون قضاياهم، بل يتحاملون عليهم، وينقصونهم كل حقوقهم.

٥- أسهم المستشرقون في تعميق الهوة والصراع بين الشرق والغرب من خلال كتاباتهم المنحازة والمؤدلجة عن الإسلام ونبيه.

٦- نتيجة التحامل على تراث المسلمين وقع المستشرقون في أخطاء فاحشة حين فسروا السيرة النبوية والوحي تفسيرا ماديا.

٧- أطلق بعض المستشرقين لخيالهم العنان فذكروا قصصا خيالية هي أقرب إلى العجائبية والإغراب منها إلى البحث العلمي الدقيق.

٨- خالف كثير من المستشرقين المنهج الصحيح في دراسة تاريخ الرسالة والرسول نتيجة الأفكار المسبقة التي تشبعوا بها قبل الدراسة، فالأحكام كانت جاهزة وكان الغرض من الدراسة البحث عما يؤيدها.

٩- قدمت الدراسة مقترحات في مجالات متعددة نصرةً للإسلام وللنبي -(ﷺ)-.

إضافة إلى نتائج أخرى مبثوثة في صفحات البحث، ولله الحمد أولا وأخيرا،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

- الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الإيطاليين في الكتابة عن الرسول -(ﷺ)- والسيرة النبوية: المستشرقة الإيطالية ريتا دي ميليو نموذجا، محمد مختار المفتي، المجلد ٥٤، العدد ٨، مجلة هدى الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الأردن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- الاتجاهات العامة لإشكالية التأويل ونقد النص بين باروخ سيبونزا ومحمد أركون، خنوس نور الدين، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، العدد ١٠، ٢٠١٧م.
- أثر شخصية الرسول الأعظم في الاستشراق الروسي، محمد عبده علي حسين القزاز، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مجلد ٧، العدد ٢٥، يونيو ٢٠١٢م.
- أدلجة الإعلام في عصر العولمة والتحولات الدولية الراهنة في العالم العربي، تيطاوني الحاج، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد ٢٣، سنة ٢٠١٣م.
- أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، د. أحمد صدقي الدجاني (وآخرون)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢م.
- الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر المسلاتي، دار اقرأ، طرابلس الغرب، ليبيا، ١٩٨٦م.
- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، محمد إسماعيل علي، دار الكلمة، ٢٠٠٠م.
- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، عدنان محمد وزان، وقفية الأمين غازي للفكر القرآني، د.ط.
- الإسلام والمستشرقون، د. عبد الجليل شلبي، مطبوعات الشعب، القاهرة، د.ت.
- افتراءات المستشرقين وطعونهم في نبي الإسلام، محمد مسعود أحمد، مجلة المنتدى الجامعي للدراسات الإنسانية والتطبيقية، جامعة الزيتونة – كلية الآداب– بني وليد، العدد ٩، السنة ٢٠١٤م.
- افتراءات غوستاف لوبون وطعونه في الوحي وفي حياة رسول الله (ﷺ)، محمد منفعة، الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد ٢٤، السنة ٢٠٠٥م.
- إنا كفيناك المستهزئين، وليد بن أحمد الحسين الزبيري، مجلة الحكمة، نخبة من علماء الدول الإسلامية، العدد ٣٧، ٢٠٠٨م.
- أوروبا والإسلام، الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م.
- أوهام الحداثة: قراءة في المشروع الأركوني، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، علي حرب، المجلد ٥، العدد ٢١، ١٩٩٣م.

- تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، ترجمة وتحقيق: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م.
- تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، تعديل فريدرش ديتريش، دار جورج ألمز، فيسبادن، ٢٠٠٠م.
- حضارة العرب، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- حوار مع المستشار طارق البشري، أجراه معه محمود عشب في: جريدة الأهرام، القاهرة، ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٣م.
- خصومة الاستشراق: رماد ضوء أم حرب باردة منسية؟، المنصف الوهايبي، آداب القيروان، جامعة القيروان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد ١٢، ٢٠١٦م.
- دفاع عن العقيدة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.
- دفاع عن محمد -(ﷺ)- ضد المنتقصين من قدره، عبد الرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، د.ت.
- دور الجامعة في تغيير صورة الإسلام في الغرب، سلوى عبد الرحمن علي سليمان، المؤتمر العلمي الأول: توجيه بحوث الجامعات الإسلامية لخدمة قضايا الأمة، جامعة الأزهر – كلية التربية بالقاهرة، ج٣، ٢٠٠٧م.
- رد التهم التي وجهها المستشرقون إلى رسول الله (ﷺ)، السيد سابق، مجلة التوعية الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة العاشرة، العدد التاسع، ١٩٨٤م.
- الرسول الكريم (ﷺ) في كتابات المستشرقين: الاستشراق البريطاني نموذجاً، عصام فخري برتو، مجلة دراسات استشراقية، العتبة العباسية المقدسة – المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٥، السنة ٢٠١٥م.
- الرسول -(ﷺ)- في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، د.ت.
- الرسول والتفرقة العنصرية، عبد العزيز كامل، المسلم المعاصر، جمعية المسلم المعاصر، العدد ٢٣، السنة ١٩٨٠م.
- رودنسون ونبي الإسلام، حسن قبيسي، وحسين حجازي، الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، المجلد الخامس، العدد ٣٢، ١٩٨٣م.
- زوجات الرسول (ﷺ) ورد شبهات المستشرقين، أ.ب. م شمس الدولة، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، المجلد ٣١، العدد ٥، ١٩٨٧م.

- سر تطور الأمم، د. غوستاف لوبون، ترجمة أحمد فتحي زغلول، دار الفرجاني، القاهرة، د.ت.
- السفارات النبوية، اللواء الركن محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩م.
- سلبية الأدلجة وتوتر الحقوق الإنسانية: تبتير التكتل الحزبي في بعض الكتابات السردية العربية الحديثة، مشتاق عباس معن، مجلة بيادر، نادي أبها الأدبيالعدد ٤٦، ٢٠٠٥م.
- السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، د.ت.
- السيدة عائشة رضي الله عنها كم كان سنها عندما تزوجها الرسول ؟، أحمد محمد، الدارة، دارة الملك عبد العزيز، المجلد ٣، العدد ٤، السنة ١٩٧٨م.
- السيرة النبوية: دراسة تصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية، أحمد أبو ريد، دار التقريب، بيروت، ٢٠٠٤م.
- شبهات المستشرقين حول الرسول -(ﷺ)- والرد عليها، مبروك محمد عبد السميع مصطفى، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، د. ط.
- شخصية الرسول -(ﷺ)- في كتاب محمد: حياته وعقيدته للمستشرق السويدي توري أندريه، عبد الحق التركماني، الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي: نبي الرحمة محمد (ﷺ)، الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، ٢٠١٠م.
- شخصية النبي محمد (ﷺ) في الاستشراق الألماني، طه الولي، مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج، المملكة العربية السعودية، السنة ٤٩، المجلد ٩، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- شمس العرب تسطع على الغرب، زيجريد هونكه، ترجمة وعرض: محمد منذر لطفي، وكمال محمد دسوقي، وفاروق بيضون، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، السنة ٢٣، العدد ١٠٩، ١٩٩٤م.
- صورة النبي في الفكر الأوروبي بين الإجحاف والإنصاف، محمد زرمان، ضمن أبحاث مؤتمر: نبي الرحمة محمد -(ﷺ)- الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، الرياض، ٢٠١٠م.
- صورة نبي الإسلام محمد ونبوته في مرآة الخطاب الاستشراقي، محمد العربي بو عزيزي، مجلة التنوير، جامعة الزيتونة، العدد ٨، ٢٠٠٦م.
- ظاهرة انتشار الإسلام، محمد فتح الله الزيادي، سلسلة الكتاب، طرابلس، ط١، ١٩٨٣م.
- عبقرية محمد، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠١٣م.
- العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر، دار الرائد العربي، بيروت، د.ت.
- فلسفة الجهاد في الإسلام، عبد الحافظ عبدربه، مطبعة الأمان، بيروت، لبنان.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط ٣٢، ٢٠٠٣م.
- القراءات التوظيفية لسيرة النبي محمد: الاستخدام المؤدلج المصلحي للأبعاد التاريخية والاجتماعية لشخصية محمد ورسالته: آسين بلاثيوس نموذجا، إغناطيوس غوتيريت دي تريان غوميث بينيتا، السيرة النبوية في الكتابات الإسبانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٨م.
- قراءة في كتاب محمد (ﷺ) أعظم عظماء العالم لأحمد ديدات ومايكل هارت، محمود السيد حسن داود، وعلي الجوهري، مجلة الجامعة الإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية، العدد ٤٠، ٢٠٠٦م.
- قصة الحضارة، للمؤرِّخ الأمريكي WILL DURANT المتوفى سنة ١٩٨١، ج ٤: "تاريخ الإيمان"، طبعة دار Simon & Schuster NEW YORK، ١٩٥٠م.
- قيم الإسلام في أدب السيرة النبوية محمد حسنين هيكل وكارين آرمسترونج: دراسة مقارنة، يمنى رجب إبراهيم صقر، دراسات عربية وإسلامية، جامعة القاهرة، العدد ٥٢، ٢٠١٥م.
- لا للوطن كرامة، د. محمد عباس، مقال بجريدة الشعب المصرية، القاهرة، ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٩م.
- لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام، باسم خفاجي، كتاب مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٧هـ.
- الله ليس كذلك، زيجريد هونكه، الوعي الإسلامي، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، عرض: عبد الرحيم الوهاب، السنة ٣٦، العدد ٤٠٢، ١٩٩٩م.
- ما الأيديولوجيا؟، ياكوب باريون، ترجمة: أسعد رزوق، عرض ومناقشة: سعيد المصري، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
- محمد النبي ورجل الدولة، وليام مونتجمري، ترجمة: حمّود حمّود، دار التكوين، دمشق، ٢٠١٤م.
- محمد ﷺ وخلفاؤه، واشنطن إرفنج، ترجمة: هاني يحيى نصري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- محمد: سيرة النبي، كارين أرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، شركة سطور للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.
- المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات، د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- المسار الفكري الزمني للمستشرقين في تعاطيهم مع رسولنا محمد (ﷺ) وسيرته، نماء محمد إسحاق البنا، المجلد ١٤، العدد ١، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، ٢٠١٨م.
- المستشرق الألماني بيرجشتراسر (Bergstrasser) وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، المجلد ٢٢، العدد ١، ٢٠١٠م.
- مستشرق يتحدث عن الرسول، ستانلي لين بول، ترجمة: عادل عبد الله القلقيلي، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، المجلد الأول، العدد ٦، ١٩٥٧م.
- المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل وكتابها وأن محمدا رسول الله، حامد ناصر الظالمي، مجلة دراسات استشراقية، العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٥، السنة ٢٠١٥م.
- المستشرقون والحديث الشريف، نادية بو شقرة، مجلة لغة. كلام، المركز الجامعي احمد زبانة بغليزان، مخبر اللغة والتواصل، المجلد الخامس، العدد ١، ٢٠٢٠م.
- المستشرقون والقرآن والنبي (ﷺ)، السيد أحمد المخزنجي، الوعي الإسلامي، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، السنة ٥٠، العدد ٥٦٩، ٢٠١٢م.
- المستشرقون والموضوعية، عبد الحميد أحمد، مقال بمجلة الأزهر المصرية، الجزء الخامس، السنة ٦٨، العدد جمادى الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- المستشرقون ودراستهم لحياة الرسول الكريم، محمد بن حماد الصقلى، مجلة الاعتصام، جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية، السنة الأولى، العدد الثاني، ١٩٧٥م.
- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
- المفكر والسفير حسين أحمد أمين، مجلة المجلة، العدد ١١٤١، ٢٣، بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠١م.
- من بشارات العهد القديم بمولد النبي الكريم صلي الله عليه وسلم، جمال الحسيني أبو فرحة، الوعي الإسلامي، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، السنة ٤١، العدد ٤٦٣، ٢٠٠٤م.
- من شبهات المستشرقين حول الرسول (ﷺ) والرد عليها، خديجة النبراوي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٤٦.
- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، عبد العظيم محمود الديب، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ١٤١١هـ.

- مواقف استشراقية في القرآن الكريم، حسن عيسى الحكيم، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد ٣١، ٢٠١٥م.
- مؤامرة الغرب على الإسلام، عبد الوهاب محمود المصري، الفكر السياسي، مج ٦، ع ٢١، ٢٠٠٥م. وهي في الأصل محاضرة ألقيت في: مركز الدراسات الإسلامية في دمشق، بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠٠٤م.
- موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- نبوة محمد صلى الله علية وسلم في الاستشراق الفرنسي المعاصر: جاكلين شابى أنموذجا، عبد الحكيم فرحات، الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي: نبي الرحمة محمد (ﷺ)، الجمعية العلمية السعودية، المجلد السادس، ٢٠١٠م.
- النبي –عليه السلام– في آثار دانتي والدانتيين، د. منصور الخريجي، المجلد الأول، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، ١٩٧٠م
- نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، د. عماد الدين خليل، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م.
- نماذج من إساءات المستشرقين لرسول الله (ﷺ): دراسة نقدية، مهند عبدالرضا حمدان، محمد نعمة، جامعة ذي قار– كلية الآداب، العدد ١٣، السنة ٢٠١٥م.
- وقفات مع بعض المستشرقين في دراستهم للسيرة النبوية، محمد مصطفي محمد صالح، مجلة دراسات إسلامية، جامعة الخرطوم، كلية الآداب العدد ٣، ٢٠١١م.